أحكام الحج
والعمرة والزيارة
بين التعريف والتأصيل

دار الجنان للنشر والتوزيع

أحكام الحج
والعمـــرة والزيارة
بين التعريـف والتأصيل

أحكام الحج
والعمـــــرة والزيارة
بين التعريــف والتأصيل

الدكتور: أبو مدين الطيب البشير

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية 1482/ 4 /2012

ISBN 978 – 9957 – 551- 49 – 0

الطبعة العربية الأولى 2012م

دارالجنان للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي(التوزيع - المكتبة)

00962796295457 – 00962795747460

تلفاكس 0096264659891

ص. ب 927486 الرمز البريدي 11190 عمان

مكتب السودان ــ الخرطوم

00249918064984

dar_jenan@yahoo.com E- mail:

أحكام الحج

والعمـــرة والزيارة

بين التعريـــــف والتأصيل

الدكتور: أبو مدين الطيب البشير

قاضي المحكمة العليا

تقديم

مولانا الدكتور

أحمد محمد عبد المجيد

قاضي المحكمة العليا القومية

تعقيب

مولانا الدكتور

عبد الرحمن شرفي

قاضي المحكمة العليا القومية

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى :

[إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين .
فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج
البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.]
آل عمران **96 ، 97**

صدق الله العظيم

الإهداء

- إلى وفد الله المختار من الحجّاج والعمّار والزوّار.
- إلى روح المرحوم والدي في أعالي الجنان فقد حــــجّ واعتمر وزار، جعله الله من المصطفين الأخيار .
- إليهم جميعا أهدي هذا الكتاب.

الفهرست

المقدمة

الحمد لله الذي جعل الاستطاعة مناط التكليف لكل شرائع الإسلام فقال تعالى :

[لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسا إِلا وُسْعَهَا] البقرة 286 وجعلها شرطا لوجوب الحج على المكلف في قوله عز من قائل : [وَلِلَّهِ عَلَـــى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا] آل عمران 97 .فله منا وحده الحمد والشكر والثناء على نعمائه وفضله ، والصــلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير الذي أكّد ما أنــزل إليـــه من ربه في قوله (ﷺ) عندما سئل عن الحج : أفي كل عام يا رسول الله ؟ قال : (لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم.) رواه مسلم .

أما بعد...

فقد عرض عليّ الأخ الأديب الدكتور أبو مدين الطيب البشير أن أطلع علــى سفره الجليل " أحكام الحج والعمرة والزيارة بين التعريــف والتأصــيل " فقلبــت صفحاته ورجعت إلى أصوله ومراجعه .

أقول إنه وبالرغم من كثرة الرسائل وتعدد الكتيبات التــي تناولــت هــذا الــركن الخامس من أركان الإسلام إلا أن هذا الكتاب تميز بميزات كثيرة أهمها : -

- جمع الكتاب بين فقه الجوارح وفقه القلوب عندما عرض أعمــال الحــج الظاهرة التي تقوم عليها أحكامه ، وعرض المعاني الروحية التي تــربط الأرواح وتشدها نحو أصلها في تلك الأماكن الطاهرة المقدسة المباركة .
- أصّل الكتاب لكل ركن من أركان هذه الفريضــة مستعرضــا آراء الأئمــة الأعلام فيها وما عليه الفتوى سيرا على مبدأ التيسير.
- ربط مخ العبادة مع كل شعيرة من شعائر الحج فأورد من الدعاء ما هــو مأثور ، ومنه ما هو جامع لمعاني العبودية وشامل لحوائج العبد في دنياه وأخراه.
- أورد روح النصوص النبوية وذلك عندما كان (ﷺ) يسأل عن أفعال الحج ، يقول (ﷺ) : (أفعل ولا حرج) وذلك ببيانه لأوجه الاختلاف في بعض المسائل ، ثم أورد ما استقر عليه العمل بفتوى المتأخرين.

- برز واضحا من الكتاب أن صاحبه قد مارس هذه الشعيرة عمـــلا فتنـــاول فقه أعمال الحج بوضوح ، كما أنه تناول فقه الواقع في هـــذه الشـــعيرة والذي نتج عن كثرة الحجيج عاما بعد عام فتولد من ذلـــك فقـــه الســـعة والمرونة.

وأخيرا إن الكمال لله وحده ، فالكاتب قد قارب وسدد واجتهد وجدّ حتـــى أخـــرج كتابه هذا ليأخذ مكانه دليلا للحاج ومرشدا له حتى يؤدي هـــذه الشـــعيرة بيســـر وتيسير في إطارها الفقهي الصحيح سائلا الله أن يتقبل جهـــده ويخلـــص قصـــده وينفع به الجميع إنه نعم المولى ونعم النصير.

د.أحمد محمد عبد المجيد
قاضي المحكمة العليا القومية
ورئيس جمعية القرآن الكريم بالرئاسة

الافتتاحية:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلــق الله أجمعــين ، محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد...

فإن الحج لغة القصد. [1] .

وفي الاصطلاح هو : قصد مكة المكرمة لأداء عبادة الطواف والسعي والوقــوف بعرفة وسائر المناسك استجابـــة لأمر الله تعالى وابتغاء لمرضاته. [2].

والحج هو ذلك المؤتمر الإسلامي الكبير الجامع الذي تلتقي فيه أفئدة أبنــاء الأمة الإسلامية ليشهدوا المنافع ، وليذكروا اسم الله على ما رزقهم مــن بهيمــة الأنعام فيأكلوا منها ويطعموا الفقراء ، وليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوّفوا ببيت الله العتيق.

وهو واجب على المسلم البالغ العاقل المستطيع ، وزاد الفقهاء وجوب وجود المحرم للمرأة.

ومن المعروف أن الحج فرض في المرة الأولى وفي التكرار خيــر كثيــر ، يقول (ﷺ) : (من حج مرة فقد أدى فرضه ، ومن حج مرتين فقد دايــن ربــه ، ومن حج ثلاث حرم الله جسده على النار .) أخرجه ابن ظهيرة في الجامع اللطيف

والحج وفق الراجح عند الإمام ابن القيم كان قد فرض سنة تسع أو عشــر من الهجرة إلا أن جمهور العلماء يرى أنه فرض في السنة التي نزل فيها قولــه تعالى :

[وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَــرَ مِــنَ الْهَــدْيِ وَلا تَحْلِقُــوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضا أَوْ بِــهِ أَذى مِــنْ رَأْسِــهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَــجِّ فَمَــا

---

1 - ابن منظور ، لسان العرب ، ج2 ، ص226

2 - السيد سابق ، فقه السنة ، ج1 ، ص437

اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُــوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .] البقرة 196

وهي السنة السادسة بعد الهجرة. [3]

ويؤكد صاحب العرف الشذي شرح سنن الترمذي على هذا التاريخ . [4]

والحج يجب أن يكون خالصا لله وحده فلا يصاحبه شرك ، ولا يخامره ريــاء ، ولا تتعلق به سمعة أو نفاق.

يقول تعالى في الحديث القدسي : [أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه.] رواه مسلم.

والحج يحقق أهدافا عظيمة منها : أنه امتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى واستجابة لندائه.

ومنها : أنه ارتباط بروح الوحي حيث إن تلك البلاد الطيبة هي مهبط الوحي.

ومنها : أنه إعلان عملي لمبدأ المساواة بين الناس.

ومنها : أنه توثيق لمبدأ التعارف والتعاون. [5]

يقول تعالى : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبا وَقَبَائِــلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ .] الحجرات 13

والحاج يمكنه أن يحج عن الميّت وعن الحي إلا أنه يتعين عليه أولا أن يحج عن نفسه حجة الفريضة ثم بعد ذلك يحج عن الغير.

فعن بريدة رضي الله عنه أن امرأة قالت : يا رسول الله : إن أمي ماتت ولم تحج ، أفيجزي أو يقضي أن أحج عنها ؟ قال : (نعم.) رواه مسلم.

3- المرجع السابق ، ص437

4- العرف الشذي شرح سنن الترمذي ، ج2 ، ص296

5- د. عبد الله الطيار ، خلاصـــة الكلام في أركان الإسلام ، ص146 ، 147

وأخرج الترمذي وأبو داود أن النبي (ﷺ) سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة فقال : (من شبرمة ؟) قال : أخ لي أو قريب لي ، قال : (أحججت عن نفسك ؟) قال : لا. قال : (حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة.)

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال : يا رسول الله : إن أختي نذرت أن تحج ، وأنها ماتت قبل أن تحج فقال : (لو كان عليها دين أكنت قاضيه ؟) قال : نعم . قال : (فاقض ، فدين الله أحق بالقضاء) الموطأ ، رواية محمد بن الحسن .

وعلى الحاج وهو متوجه لتلك البلاد الطيبة الشريفة أن يقوم بالآتي :

أولا : الاستعداد بدنيا بأن يأخذ قسطا من الراحة والاستجمام ، وروحيا بالانتظام في الصلوات في المسجد والإكثار من الدعاء والصلاة على النبي (ﷺ) ، ثم الاستعداد الفكري بمحاولة معرفة ما يتيسر له من مناسك الحج .

ثانيا : التوبة النصوح :

والتوبة النصوح يأتي لفظها في القرآن الكريم مطلقا تارة ، ومقيدا تارة أخرى ففي الآية الرابعة من سورة التحريم جاء اللفظ مطلقا : [إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ .]

وفي الآية الثامنة من نفس السورة جاء مقيدا : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .]

والتوبة النصوح هي الناصحة الصادقة التي لا يعود صاحبها بعدها للذنب الذي تاب منه ، إلا أن الفقهاء اختلفوا في معناها : ففي معالم التنزيل جاء :"واختلفوا في معناها ، قال عمر وأبي ومعاذ : التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى

الذنب، كما لا يعود اللبن إلى الضرع . وقال الحسن : هي أن يكون العبـــد نـادمـــا على ما مضى مجمعا على ألا يعود فيه .

قال الكلبي : أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن.

قال سعيد بن المسيب : توبة تنصحون بها أنفسكم.

وقال القرظي: يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود." [6]

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : هي أن يهجر الذنب ويعزم علـــى أن لا يعود إليه أبدا .[7]

وقال الفراء : توبة تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تـــاب منـــه ، وهـــو أنهـــا الصادقة الناصحة ينصحون بها أنفسهم . [8]

وجاء في البحر المديد :

" عن السدي : هـــي صدقُ العزيمة على ترك الذنوب ، والإنابة بالقلب إلى عـــلاّم الغيوب .

وعن سهل : هي الانتقالُ من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة .

وعن الجنيد : هي الإعراض عما سوى الله ." [9]

وسئل أبي بن كعب رضي الله عنه عنها ؟ فقال : سألت رسول الله (ﷺ) عن ذلك فقال : (هي الندم عن الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبدا.) [10]

---

[6] - البغوي ، معالم التنزيل ، ج8 ، ص169

[7] - الرازي ، مفاتيح الغيب ، ج2 ، ص47

[8] - نفس المرجع ، ج15 ، ص388

[9] - ابن عجيبة ، البحر المديد ، ج5 ، ص434

[10] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص502

وقال الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله :[تَوْبَةً نَصُوحا] قال: يتوب ثم لا يعود. (11)

وقال ابن زيد، فـــي قول الله :[تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُـوحا.] قـــال : التوبـــة النصوح الصادقة، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته، وحبّ الرجوع إلى طاعته، فهذا النصوح. (12)

وجاء في الدر المنثور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنـــه قـــال : قـــال رســـول الله (ﷺ) : (التوبة من الذنب لا تعود إليه أبدا .)

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال معاذ ابن جبل رضي الله عنه : يا رسول الله : ما التوبة النصوح ؟ قال : (أن يندم العبد علـــى الذنب الذي أصاب ، فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليـــــــــه كما لا يعود اللبن إلى الضرع.) (13)

وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عنها يومـــا فقال : " أن يتوب الرجـــــل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبدا. " (14)

ويقول سعيد بن جبير رضي الله عنه : " هي التوبة المقبولـــــة ، ولا تقبـــل مـــا لـــم يكن لهـــا ثلاثة شروط : خـــوف ألا تقبـــل ، ورجـــاء أن تقبـــل ، وإدمـــان للطاعات." (15)

وقال قتادة إنها الصادقة ، وقال الحسن : هي أن يـــبغض الـــذنب الـــذي أحبـــه ويستغفر منه إذا ذكره. (16)

ويقال إن أبا بكر الوراق سئل عنها فقال : أن تضيق علـــى التائـــب الأرض بمـــا رحبت وتضيق عليه نفسه كتوية كعب بن مالك وصاحبيه. (17)

[11] - نفس المرجع ، ج8 ، ص168

[12] - جامع البيان للطبري ، ج23 ، ص495

[13] - الدر المنثور في التأويل بالمأثور للسيوطي ، ج10 ، ص60

[14]- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج8 ، ص168

[15] - نفس المرجع ، ج 18 ، ص174

[16]- محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج 6 ، ص 10

أما شرائطها فثلاثة أوردها صاحب تفسير السراج المنير :

الأول : الإقلاع عن الذنب بالكلية

الثاني : الندم على فعله

الثالث : العزم التام علـــــى ألا يعود إليه في المستقبل [18]

أما عن تأويلاتها فقد قالوا إن في قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا تُوبــوا إلــى اللَّه تَوْبَة نَصوحا] خمسة تأويلات :

الأول : أن التوبة النصوح هي الصادقـــــة الناصحة ، قاله قتادة .

الثاني : أن النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره ، قاله الحسن .

الثالث : أن لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها .

الرابع : أن النصوح هي التي لا يحتاج معها إلى توبة .

الخامس : أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبدا ، قاله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه .[19]

والتوبة النصوح تفرح الرب جل وعلا فقد جاء فـــي صـــحيح وضـــعيف الجـــامع الصغير :

قال رسول الله (ﷺ) : (الله أفرح بتوبة التائب من الظمآن الوارد ، ومن العقـــيم الوالد ومن الضال الواجد ، فمن تاب إلى الله توبة نصوحا أنســـــى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه و ذنوبه.) [20]

---

17 - شهاب الدين اللالوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيـــم والسبع المثاني ، ج7 ، ص 398 أبو حيان بن يوســـف بـــن حيان ، تفســـــير البحر المحيط ، ج6 ، ص 243

18 - محمد الشربيني الخطيب ، تفسير السراج المنير ، ج1 ، ص1617

19 - الماوردي ، النكت والعيون ، ج4 ، ص294

20 - صحيح وضعيف الجامع الصغير ، ج21 ، ص175

أما باب التوبة فهو من أبواب الجنة ، سأل عمر بن الخطاب النبـــي (ﷺ) عنـــه فقال : (يا عمر خلق الله بابا للتوبة خلف المغرب وهو من أبـــواب الجنـــة ، لـــه مصراعان من ذهب مكلّلان بالدر والياقوت والجوهر ، ما بـــين المصـــراع إلـــى المصراع مسيرة أربعين عاما للراكب المسرع ، فذلك الباب مفتوح منذ خلـــق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربها ، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحا من لدن آدم إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة فـــــي ذلك الباب ثم ترفع إلى الله .) [21]

وأخيرا فقد أورد صاحب الكشاف حديثا للرسول (ﷺ) يوضح الطريقة التي يتحصل بها المسلم على التوبة النصوح يقول (ﷺ) : (من قرأ سورة التحـــريم آتاه الله توبة نصوحا .)[22]

ثالثا : اختيار الرفقـــة الصالحة واليوم الصحيح ، يقول الرسول (ﷺ) :

(مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكيـــر إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة.) رواه البخاري

والشاعر يقول :

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم

خير الصحابة من يكون عفيفا

والناس مثل دراهم ميزتها

فوجدت منها فضة وزيوفا

وأيام الله كلها طيبة ولكن الرسول (ﷺ) كان يسافر على الراجح بالخميس .

---

21 - السيوطي ، الدر المنثور في التأويل بالمأثور ، ج4 ، ص173

22 - الزمخشري ، الكشاف ، ج7 ، ص99

روى الإمام البخاري عن عبد الرحمن بن مالك أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : " لقلّما كان الرسول (ﷺ) يخرج إذا خرج في سفر إلا يوم الخميس."

رابعا : أن يكتب وصيته .

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (ما حق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة.) رواه مسلم

وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه كما جاء في صحيح مسلم : " ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله (ﷺ) قال ذلك إلا وعندي وصيتي."

خامسا : أن يؤدي ما عليه من ديون ليبرئ ذمته .

فالدين كما هو معروف يتعلق بنفس المدين فلا فكاك له منه حتى بعد الوفاة ، ومن المعلوم أن الرسول (ﷺ) كان لا يصلي على المدين حتى يقضى عنه الدين.

روى جابر رضي الله عنه قال : " توفى رجل فغسلناه وكفنّاه وحنطناه ثم أتينا به رسول الله (ﷺ) ليصلي عليه ، فقلنا نصلي عليه . فخطا رسول الله (ﷺ) خطوة ثم قال : (أعليه دين ؟) قلنا ديناران ، فانصرف فتحملهما أبو قتادة .

فأتيناه فقال أبو قتادة : الديناران عليّ .

فقال (ﷺ) : (قد أوفى الله حق الغريم وبرئ منهما الميت ؟ قال : نعم . فصلى عليه ثم قال : بعد ذلك بيومين: (ما فعل الديناران ؟) قلت : إنما مات أمس. قال : فعاد إليه من الغد فقال : قد قضيتهما. فقال رسول الله (ﷺ) : (الآن بردت جلدته.)[23]

---

[23] - محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب ، ج2 ، ص168

سادسا : أن يختار لحجه المال الحلال الطيب لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ،

يقول (ﷺ) : (إذا وضع الرجل رجله في الغرز وكان ماله حرام وزاده حرام وقال لبيك اللهم لبيك نادته الملائكة لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك .) وأن يحفظ جوارحه ولسانه عن الحرام .

قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال : ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟ قال : إن هذا الذي أوردني الموارد ، أن رسول الله (ﷺ) قال : (ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان على حدته.) رواه البيهقي والنسائي

سابعا : أن يصل رحمه ويودع أهله مذكرا لهم بتقوى الله قائلا لهم : "استودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم."

يقول (ﷺ) : (لا يدخل الجنة قاطع رحم) رواه البخاري

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول (ﷺ) قال : (إن للرحم لسانا يوم القيامة تحت العرش يقول : يا رب قطعت ، يا رب ظلمت ، يا رب أسئ إليّ . فيجيبها ربها : [ألا ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك ؟]

وروى البيهقي في شعب الإيمان أن رسول الله (ﷺ) قال : (ثلاث معلقات بالعرش : الرحم تقول : اللهم إني بك فلا أقطع . والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أخان ، والنعمة تقول : اللهم إني بك فلا أكفر.)

ثامنا : أن يتطهر ويحلق شعره ويقلم أظافر يديه ورجليه ثم يقرأ دعاء السفر ثم ينطلق متوكلا على الله .

روى ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبّر ثلاثا ثم قال : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن

العمل ما ترضى . اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده . اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ يك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل.) رواه مسلم

والحج أفضل العبادات ، يقول الزركشي في ذلك :" أفضل العبادات الحج لأنه يشتمل على المال والبدن." [24]

وهو جهاد بل هو أفضل أشكال الجهاد : سألت عائشة رضي الله عنها الرسول (ﷺ) فقالت : نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ قال :(لكن أفضل الجهاد وأجمله حج مبرور.) رواه البخاري.

وسئل رسول الله (ﷺ) : أي العمل أفضل ؟ قال : (إيمان بالله ورسوله) قيل ثم ماذا ؟ قال : (الجهاد في سبيل الله) قيل ثم ماذا ؟ قال : (حج مبرور.) متفق عليه.

يقول الحسن رضي الله عنه : الحج المبرور هو أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة .[25]

ويقول الفقهاء إن الحج المبرور هو الذي لم يعص الله تعالى فيه أثناء أدائه. وقال الفراء : هو الذي لم يعص الله سبحانه بعده .
وذكر ابن العربي القولين.[26]

وأورد الإمام أحمد في مسنده : قالوا يا نبي الله : ما الحج المبرور ؟ قال : (إطعام الطعام وإفشاء السلام.)

وعن جابر ين عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) قيل وما بره ؟ قال : (إطعام الطعام وطيب الكلام) رواه الطبراني في الأوسط .

---

24 - محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله ، مواهب الجليل ، ج2 ، ص538
25 - الأشبيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج1 ، ص31
26 - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج2 ، ص401

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا جاء إلى الرسول (ﷺ) فقال : إني جبان وإني ضعيف ، فقال (ﷺ): (هلمّ إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج.) رواه الطبراني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج.) رواه النسائي.

ومن فضائل الحج أنه يجبّ ما قبله : عن أبي هريرة رضي الله قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه.) متفق عليه.

وفي حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه ما يؤكد هذا الفضل ويدعّمه : يقول عمرو بن العاص : " فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي (ﷺ) فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك ، فبسط يمينه قال : فقبضت يدي قال : (ما لك يا عمرو؟) قلت : أردت أن أشترط . قال : (تشترط بماذا ؟) قلت : أن يغفر لي . قال : (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله.) رواه مسلم.

وفضل الحج يزداد ويعظم إن أدّاه الحاج ماشيا وهو رأي إسحاق بن راهويه الذي أميل إليه خلافا لرأي الجمهور الذي يرى أن الركوب أفضل.[27]

ففي فضل الركوب أخرج الإمام البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (من جاء يؤم البيت الحرام فركب بعيره فما يرفع خفا ولا يضع خفا إلا كتب الله بها حسنة وحط بها خطيئة ورفع له بها درجة حتى إذا انتهى إلى البيت فطاف وطاف بين الصفا والمروة ثم حلق أو قصر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فليستأنف العمل.)

وفي فضل الحج مشيا روى الإمام البيهقي أن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال : " ما آسى على شئ غير أني لم أحج ماشيا."

---

[27] - السيد سابق ، مرجع سابق ، ج1 ، ص446 ، 447

وروي عنه أيضا أنه مرض فجمـــع أهله وبنيه وقال لهم : " يا بنيّ إني ســـمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (من حج ماشيا من مكة حتى يرجع إليها كتب له بكـــل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم.) فقال بعضهم : وما حسنات الحرم ؟

قال : (كل حسنة بمائة ألف حسنة.) رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير

وهذا الخبر أورده أيضا الإمام ابن حجر العسقلاني عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال : " ما آسى على شئ إلا أني لم أحج ماشيا ، إني سمعت رســـول الله (ﷺ) يقول : (من حج راكبا كان له بكل خطوة حسنة ، ومن حج ماشيا كان لـــه بكل خطوة حسنة من حسنات الحرم ، الحسنة مائة ألف ضعف.)[28]

والحج فرض بإجماع المسلمين وهو ركن الإسلام الخامس : يقول تعالى : [وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَـــةِ الأَنْعَـــامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُـــوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ .] الحج : 27 ، 28 ، 29

ويقول تعالى : [إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكا وَهُدى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِـــجُّ الْبَيْـــتِ مَـــنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .] آل عمران : 96 ، 97

وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور أن عمر رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلـــس إلـــى النبـــي (ﷺ) فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنـــي عن الإسلام ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : (الإسلام أن تشهد أن لا إلـــه إلا الله وأن

---

28 - ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ج3 ، ص304

محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.) متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله (ﷺ) فقال : (يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجّوا.) فقال رجل : أكلّ عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله (ﷺ) : (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم.) ثم قال : (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه.) رواه مسلم.

والحج يجب على الفور عند أبي حنيفة في أصح الروايتين عنه ، وعند أبي يوسف ، كما يجب على الفور عند مالك في الراجح عنه وعند أحمد.

ويجب على التراخي عند الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني. [29]

والراجح عندي أنه يجب على الفور لقوله (ﷺ) : (تعجّلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له.) وفي رواية : (من أراد الحج فليتعجّل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتعرض الحاجة.) رواه أحمد وابن ماجة.

وللإشارة التي في قوله تعالى : : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) وكذلك في الإشارة التي في قوله تعالى : (وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ).

والحج ركن مركب حيث تتركب فيه بقية الأركان : ذلك أن شعاره التلبية ومفرداتها التوحيد : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنّ الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك."

وفي ركعتي الطواف صلى الرسول (ﷺ) بسورتي التوحيد : الكافرون والإخلاص.

---

[29] - الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ج17 ، ص24

وأن أفضل الدعاء يوم عرفة هو دعاء التوحيد : "لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ شهيد."

والحج تتركب فيه الصلاة فهي قصرا وجمعا في المزدلفة وعرفة ، وقصرا فقط في منى ، وتامة في مكة المكرمة.

والحج يتركب فيه الصوم الذي هو من جوابر الحج.

يقول تعالى : [فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ.] البقرة **196**

وكذلك يظهر في الحج صوم الجوارح : يقول تعالى : [الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ.] البقرة **197**

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه : الرفث هو التعريض بذكر الجماع ، ويرى مجاهد أنه الجماع . أما الفسوق فيقصد به المعاصي .

وعن الجدال يقول عبد الله بن مسعود ، وعبد الله ابن عباس ، وعطاء رضي الله عنهم : " الجدال هنا أن تماري مسلما حتى تغضبه فينتهي إلى السباب ، أما مذاكرة العلم فلا نهي عنها ."

وقال قتادة : " الجدال السباب ." [30] ومهما يكن من أمر فإن الحاج يجب أن ينصرف عن كل ما هو مشين ، ويجب أن يعمّر قلبه بذكر الله ، وأن يرطّب لسانه بالدعاء وبالصلاة على الرسول (ﷺ) حتى ينال الحج المبرور .

والحج تتركب فيه الزكاة لارتباطه بالاستطاعة.[31]

والاستطاعة هذه شرحها الرسول (ﷺ) بالزاد والراحلة فقد ذكر الإمام الشافعي أن الرسول (ﷺ) سئل أي الحج أفضل ؟

قال : (العج والثج) [32]

---

[30] - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج2 ، ص401

[31] - د. محمد البشير محمد عبد الهادي ، الحج والعمرة والزيارة : المعاني والمقاصد ، ص17 ، 18

فقيل مـــا الحاج ؟ قال : (الشعث التفل) [33]
قيل ما السبيل ؟ قال : (الزاد والراحلة.) [34]
وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا.) رواه الترمذي.
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " لقد هممت أن أبعث رجالا إلى الأمصـــار فينظرون إلى كل من كان له مال ولم يحج فيضربون عليه الجزية." [35] **وعليـــه فإن من يحوز على المال الحلال الطيب الفائض عن نفقاته الضـــرورية ونفقـــات أهله ، وكان صحيح الجسم وقد أن أمن الطريق يعتبر مستطيعا .**
هذا وقد نجح ذلك الشاعر الذي ضمّن شرط الاستطاعة في أبياته المشهورة حيث قال : فقد أتى الإسلام مبنيّا على خمس فحقق وادر ما قــد نقـــلا أولهـــا الـــركن الأساس الأعظم وهو الصراط المستقيم الأقوم ركن الشهادتين فاثبـــت واعتصـــم بالعروة الوثقى التي لا تنفصم وثانيا إقامة الصلاة وثالثا تأديـــة الزكاة والرابع الصيام فاسمـــــع واتّبع والخامس الحج على من يستطع.
والحج مرة في العمر والأصل فـــــي ذلك حديث الأقرع ابن حابس رضي الله عنه قال : يا رسول الله ، الحج في كل عام أم مرة ؟ قال : (بل مرة فما زاد فتطوع.) رواه أبو داود. **إلا أن تكراره مستحب كل خمسة أعوام لقـــول الرســـول (ﷺ) فيمـــا يرويه عن ربه : (إن عبدا صححت له جسمه ووسعت عليـــه فـــي المعيشـــة يمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ لمحروم.)** رواه ابن حبان في صحيحه
ومن المعلوم أن الرسول (ﷺ) حج حجة واحدة بعد الهجرة وكان تحركـــه (ﷺ) لها في السنة العاشرة للهجرة ، فقد ورد عن جابر رضي الله عنه أن رســـول الله

---

32 - العج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج هو إسالة الدماء بالنحر .
33 - الشعث هو مغبر الرأس ، والتفل هو تارك الطيب .
34 - ابن القيم ، فتاوى الرسول (ﷺ) وأحكامه ، ص70
35 - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج4 ، ص136

(ﷺ) مكث تسع سنين لم يحج ثم أذّن في الناس بالحج في السنة العاشرة . هذه الحجة هي حجة الوداع المشهورة ، وكانت يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة.[36]

في هذه الحجة خطب رسول الله (ﷺ) قائلا : (أيها الناس : اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .

ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وأن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث .

وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله.

فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله.

أيها الناس، إنه لا نبي بعدي ، ولا أمة بعدكم ، ألا فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، طيبة بها أنفسكم ، وتحجون بيت ربكم وأطيعوا ولاة أمركم، تدخلوا جنة ربكم) أخرجه ابن ماجة.

---

[36] - ابن حزم الأندلسي ، حجة الوداع ، ص46

إن الحكمة من الحج كما هو معروف هي تطهير النفوس من آثار الذنوب والآثــام بأداء هذه الشعيرة التي تحمل في جنباتها الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم في جو مفعم بالإيمان والذكر فتطمئن القلوب بذكر الله ، فإنه بذكر الله تطمئن القلوب.
في هذا الكتاب نحاول وبإيجاز إلقاء الضوء على بعض المسائل الهامة التي يحتاج إليها الحاج تعريفا وتأصيلا .
نرجو الله جل وعلا أن يوفقنا لما فيه الخير ، وأن يدخل هذا الكتاب فــي دائــرة العلم الذي ينتفع به حتى لا ينقطع ثوابه : يقول (ﷺ) في ذلك : (إذا مات ابــن آدم انقطع عملــه إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له.) الموطأ رواية محمد بن الحسن وأن يجعلنا من حجاج بيت الله الحرام ، ومن زوار الحرم المدني . وأن يجعلنا من الذين يسمعون القول فيتّبعون أحسنه ، إنــه نعــم المولى ونعم النصير.

مكانة الحرم المكي :

تقع مدينة مكة المكرمة في الجهة الغربية من المملكة العربية السعودية وترتفع لأكثر من ثلثمائة مترا من سطح البحر . تحدها من الشرق مدينة الرياض ، ومن الغرب مدينة جدة ، ومن الشمال المدينة المنورة ، ومن الجنوب مناطق عسير والباحة وجيزان . [37]

والمعروف أن مكة المكرمة هي أحب البقاع إلى الله جل وعلا وفي ذلك يقول الرسول (ﷺ) : (والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت.) رواه الترمذي وابن ماجة.

وهي تلك البقعة الطاهرة التي اختارها الله تعالى مكانا لبيته الحرام . ومكة المكرمة كلها حرم .

عن محمد بن عباد رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم لسبعمائة.) رواه ابن أبي شيبة

وقال جماعة منهم النووي والزركشي : "إن حرم مكة كالمسجد الحرام في مضاعفة ثواب الصلاة بل وسائر أنواع الطاعات ، قال الحسن البصري : صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، وكل حسنة بمائة ألف." [38]

ويقول (ﷺ) : (رمضان بمكة أفضل من مائة رمضان بغير مكة.) رواه البزار عن ابن عمر .

ومن المعروف أن هناك بعض المعالم التاريخية التي يمكن زيارتها بمكة تبركا وهي : قبر إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر وهما في الحجر ، وقبر آدم عليه السلام وهو في جبل أبي قبيس ، ثم جبل ثور وفيه الغار المذكور في القرآن

---

37 - يقال إن مساحة مكة المكلرمة (65) كيلو متراً مربعاً ، وعد سكانها حوالي (850) ألف نسمة ، وقد فتحها الرسول (ﷺ) في العام الثامن للهجرة .

38 - أ . د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج3 ، ص2383 ، وأشار لكتاب : إعلام الساجد بأحكام المساجد ، ص 119 - 129

الكريم والذي لجأ إليه الرسول (ﷺ) وأبوبكر الصديق رضي الله عنه لثلاثة أيـــام أثناء الهجرة ، وجبل حراء أو جبل النور الذي ابتدأ فيـــه نـــزول الـــوحي علـــى الرسول (ﷺ).

كما أن هناك أماكن أثرية كمكان مولد الرســـول (ﷺ) ، ودار الأرقـــم ، ومقبـــرة المعلاة أو الحجون .[39]

والبيت الحرام هو أقدم بيت وضعه الله تعالى للناس : يقول تعالى : [إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكا وَهُدى لِلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَـــإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .] آل عمران 96 ، 97

يضاعف الله الثواب في هذا البيت فتعدل الصلاة فيه مائة ألف صلاة .

يقول الرسول (ﷺ) : (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصـــلاة في مسجدي بألف صلاة ، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة.) رواه الطبراني عن أبي الدرداء.

والكعبة المشرفة عبارة عن مبنى ذي شكل مكعب بارتفاع خمسة عشر متـــرا ، وتقع وسط المسجد الحرام تقريبا وفي منتصف الكرة الأرضية .

ولها منفد واحد وهو بابها وهذا الباب يفتح لثلاث مرات سنويا لتغسل من الداخل بماء زمزم .

وقد وردت بهذا الاسم في القرآن الكريم مرتين :

يقول تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَـــن قَتَلَـــهُ مِـــنكُم مُّتَعَمِّدا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيا بَالِغَ الْكَعْبَةِ]

---

[39] - المرجع السابق ، ج3 ، ص2394 حيث أشار للقوانين الفقهية لابن جزئ ، ص143

ويقول تعالى : [جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاما لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ]

وللكعبة أسماء كثيرة منها :

- **البيت الحرام :[جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ]**
- **البيت : [وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا]**
- **البيت العتيق : [ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ]**
- **المسجد الحرام : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ.]**
- **البيت المحرم : [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ.]** إبراهيم **37**

ويقال إن الكعبة بنيت اثني عشرة مرة : أول من بناها هم الملائكة ، وتلاهم آدم ، وشيت ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، والعمالقة ، وجرهم ، وقصي بن كلاب ، وقريش ، وعبد الله بن الزبير، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وأخيرا السلطان مراد الرابع .

ولكنها بنيت على المشهور خمس مرات : بنتها الملائكة ، وبناها سيدنا إبراهيم الخليل أبو الأنبياء عليه السلام ، وبنتها قريش في الجاهلية بحضوره (ﷺ) قبل البعثة ، وبناها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، وأخيرا بناها الحجاج ابن يوسف الثقفي .[40]

[40] - محي الدين بن شرف ، المجموع ، ج 7 ، ص391

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

" وضع البيت على أركان الماء قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام ، ثم دحيت الأرض من تحت البيت." [41]

ويقال إن ذا القرنين قدم مكة فوجد إبراهيم وإسماعيل يبنيان قواعد البيت من خمسة أجبل ، فقال : مالكما ولأرضنا ؟ فقالا : نحن عبدان مأموران ، أمرنا ببناء هذه الكعبة. قال : فهاتا البينة على ما تدعيان ؟ فقامت خمسة أكبش فقلن : نحن نشهد إن إبراهيم وإسماعيل عبدان مأموران ببناء هذه الكعبة. فقال : قد رضيت وسلّمت ثم مضى.[42]

والكعبة لها أربعة أركان مسماة : أولها الحجر الأسود ، يليه الركن العراقي ، فالركن الشامي ، وأخيرا الركن اليماني.

وفي الكعبة المشرفة وبالإضافة لهذه الأركان الأربعة نجد :

- **الملتزم : وهو الجزء المحصور ما بين الباب والحجر الأسود . وهو من مواضع استجابة الدعاء. يقول (ﷺ) : (ما دعا أحد بشئ في هذا الملتزم إلا استجيب له .)** رواه الأزرقي في تاريخ مكة

ويبدو أن المطلوب هو لصق الصدر واليدين والخدين به لما ورد أن عبد الله بن عمرو بن العاص طاف وصلى ثم استلم الركن ثم قام بين الحجر والباب فألصق صدره ويديه وخده إليه ثم قال : (هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل) رواه ابن ماجة

- **الباب : وعرضه ثلاثة أذرع ونصف وطوله أكثر من خمسة أذرع ، ويرتفع بنحو مترين عن الأرض.**

---

41 - جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور ، ج1 ، ص308

42 - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ص236

ومن المعروف أن أول من جعل للكعبة بابا هو : أنوش بن شيث بـــن آدم عليـــه السلام ، وأن أول من خلـــع نعليه عند دخولها في الجاهلية الوليد بـــن المغيـــرة .[43]

- مقام إبراهيم عليه السلام : وهو الحَجَر الذي كان يقف عليه أبو الأنبيـــاء عليه السلام حين كان يرفع القواعد من البيت هو وابنه إســـماعيل عليـــه السلام .

ومن المعجزات المشهودة أن هذا الحجر صار رطبا تحت قدميهِ فغاصت فيه قدماه مخلفة أثرا تاريخيا خالدا .

ويقال إن هذا المقام كان حجرا ملصقا بالبيت حتى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخره عن البيت .

- حجر إسماعيل : ويسمى الحطيم والحظيرة ، وهو الحائط المستدير مـــن جهة الميزاب .
- ميزاب الرحمة أو المزراب ويقع في الحائط الشمالي للكعبة لإخراج ميـــاه الأمطار ، ويصب في في جهة حجر إسماعيل .
- أستار الكعبة وهي ثياب بيض كان يؤتى بها من اليمن .

ومن المشهور كما أورد القلقشندي أن أول من كسا الكعبة في الجاهليـــة : تبـــع أسعد أبو كرب.[44]

ثم كساها الرسول (ﷺ) ثيابا يمانية ، ثم كساها كثيرون من بعده منهم : أبو بكر وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، وابن الزبير رضي الله عنهم .[45]

ومن المعروف أن الكساء يتكون من قطع خمس ، أربعة منها تغطى أوجه الكعبة ، ويغطى الباب بالخامسة .

---

43 - القلقشندي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص485 - 488

44 - القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج1 ، ص485 ، 487 ، 488

45 - أ . د. وهبة الزحيلي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص2382

- **المستجار وهو الموضع بين الركن اليمانيّ والباب المسدود في ظهر الكعبة ، ويقال له : المستجار من الذنوب.**
- **وأخيرا الشاذوران وهو جزء من حجر أساس الكعبة.**

والمعروف أن سدانة الكعبة كانت لعثمان بن طلحة وسقايتها كانت للعباس . إن فضل مكة المكرمة لا يعدله فضل ، وإن فضل المسجد الحرام لا يعدله فضل ، فاغتنموا الفرصة أيها الحجاج.

الأنساك الثلاثة

الأنساك ثلاثة وهي :

- **الإفراد**
- **التمتع**
- **القران**

وقد أجمع العلماء على جواز كل منها لقول عائشة رضي الله عنها :

"خرجنا مــع رسول الله (ﷺ) عام حجة الوداع فمنا من أهلّ بعمرة ، ومنــا مــن أهلّ بحج وعمرة ، ومنا من أهلّ بالحج ، وأهل رسول الله (ﷺ) بالحج. أما من أهلّ بعمرة فحلّ عند قدومه ، وأما من أهل بحج أو جمع بين الحج والعمرة فلــم يحل حتى كان يوم النحر." متفق عليه.

يقول القاضــي حسين من الشافعية : " وكلها جائزة بالإجماع."[46]

ويقول الإمام النووي : " وقد انعقد الإجمــاع بعد هذا على جواز الإفراد والتمتع والقران من غير كراهــة وإنمــا اختلفوا في الأفضل منها." [47]

وقال الخطابي : " لم تختلف الأمة في أن الإفراد والقران والتمتع بــالعمرة إلــى الحج كلها جائزة غير أن طوائف العلماء اختلفوا في الأفضل منها ." [48]

وفي أضواء البيان للشنقيطي جاء : " وقال النووي في شرح المهــذب : وجــواز الثلاثة قال به العلماء ، وكافة الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلا مــا ثبــت فــي الصحيحين عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما أنهمــا كــان ينهيان عن التمتع .

وقال أيضا في شرح مسلم : وقد أجمع العلماء على جواز الأنواع الثلاثة ." [49]

---

46 - محي الدين بن شرف ، مرجع سابق ، ج7 ، ص122

47 - النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم ، ج8 ، ص169

48 - محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ج5 ، ص134

49 - الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج4 ، ص400

وفي المغني جاء : وأجمع أهل العلم على جواز الإحرام بأي الأنساك الثلاثة شاء . واختلفوا في أفضلها .[50]

وفي الشرح الكبير جاء :"لا خلاف بين أهل العلم في جواز الإحرام بأي الأنساك الثلاثة شاء ." [51]

وفي منار السبيل شرح الدليل جاء : " ولا خلاف بين الفقهاء والعلماء في جواز الإحرام بأي الأنساك الثلاثة شاء ." [52]

والإفراد هو أن يفرد الحاج بالحج فقط في أشهر الحج ويقول عند الميقات : " لبيك اللهم بحج."

ثم يطوف طواف القدوم ويسعى ، ويبقى على إحرامه إلى أن يرمي جمرة العقبة يوم النحر حيث يتحلل التحلل الأصغر.

وعلى المفرد كما هو معروف سعي واحد وليس عليه هدي.

والتمتع هو أن يحرم الحاج بعمرة فقط في أشهر الحج قائلا :"لبيك اللهم بعمرة." ويمكنه أن يضيف : " متمتعا بها إلى الحج."

ثم يتحلل بعد الفراغ منها ليحرم مرة أخرى يوم التروية للحج من مسكنه ويقول : "لبيك اللهم بحج."

وعلى المتمتع هدي - شاة أو سبع بدنة أو سبع بقرة - لقوله تعالى : [فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ] البقرة ، من الآية 196 وسمي متمتعا لأنه يتمتع بمحظورات الإحرام بين النسكين. [53]

والقران هو أن يحرم الحاج بالحج والعمرة معا ويقول : " لبيك اللهم بحج وعمرة."

---

[50] - ابن قدامة ، المغني ، ج6 ، ص376

[51] - ابن قدامة ، الشرح الكبير ، ج3 ، ص232

[52] - منار السبيل شرح الدليل ، ج1 ، ص163

[53] - عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ، ج1 ، ص531

ثم يطوف ويسعى ويبقى على إحرامه لا يتحلل إلا عند رمي جمرة العقبة الكبـرى يوم النحر.

والقارن يكفيه طواف واحد وسعي واحد للحج والعمرة معا لقولـه (ﷺ) : (مـن أحرم بالحج والعمرة أجزاه طواف واحد وسعي واحد حتى يحل منهما جميعـا.) أخرجه الترمذي.

والقارن كالمتمتع عليه هدي لما روى الشيخان عن عائشة رضـي الله عنهـا أن الرسول (ﷺ) ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكنّ قارنـات. [54]**والإفـراد هـو أفضل الأنساك عند المالكية. قال بذلك الإمام مالك وأصحابه ، والإمام الشافعي في الصحيح من مذهبه وأصحابه . وبـه قال عمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلـي ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وجابر ، وعائشة ، والأوزاعي ، وأبـو ثـور وداود رضي الله عنهم .** [55]

والتمتع هو أفضل الأنساك عند الحنابلة. وبذلك قال أحمد بن حنبل وإسحاق بـن راهويه . [56] **والقران هو أفضل الأنساك عند الحنفية.**

قال بذلك أبو حنيفة والثَّوْرِيّ وَاخْتَارَهُ مِنْ الشَّافِعِيَّة الْمُزَنِيُّ وَابْـن الْمُنْـذِر وَأَبُـو إِسْحَاق الْمَرْوَزِيُّ ، وَمِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ تَقِيّ الدِّين السُّبْكِيُّ . [57]

وللشافعية قولان : أحدهما إن الإفراد أفضل ، وثانيهمـا أن التمتـع أفضـل.[58]

وسبب هذا الاختلاف العريض بين الفقهاء في هذا الباب يرجع لاخـتلافهم حـول نوع النسك الذي فعله النبي (ﷺ) ،هل كان مفردا أم متمتعا أم قارنا ؟

---

[54] - الخطيب الشربيني ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج ، ج1 ، ص513

[55] - الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج4 ، ص400

[56] - البغوي ، معالم التنزيل ، ج1 ، ص219

[57] - ابن حجر ، فتح الباري ، ج5 ، ص218

[58] - السيد سابق ، مرجع سابق ، ج1 ، ص456، 457

بعض الفقهاء قالوا إنه كان متمتعا ويعتمدون على حديث ابن عمـــر رضـــي الله عنهما قال: " تمتع رسول الله (ﷺ) في حجه إلى الحج وأهدى وساق الهدي من ذي الحليفة." [59]

ويقول بعضهم قرن رسول الله (ﷺ) اعتمادا على حديث أنس وابن عباس رضي الله عنهما وجماعة وأضاف أنس رضي الله عنه :" سمعته يلبـــي بعمـــرة وحـــج معا."[60]

وكذلك على الحديث الذي أورده الإمام أحمد عن مكي ابن إبراهيم ، عن داود بـــن يزيد ، قال : سمعت عبد الملك الزرّاد يقول : سمعت النزال بـــن ســـيرة يقـــول : سمعت سراقة يقول قرن رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع .[61]

ويقول بعضهم أفرد رسول الله (ﷺ) اعتمادا على تضعيف عائشـــــــة رضي الله عنهـــــــــا لحديث أنس رضي الله عنه قالت : كان أنس صغيرا ، أفرد رسول (ﷺ) الحج ولم يعتمر." [62]

ويقرر شيخ الإسلام الإمام ابن تيميه فـــي هذا الخلاف فيقول :

" أما حج النبي (ﷺ) فالصحيح أنه كان قارنا ، قرن بين الحج والعمـــرة وســـاق الهدي ولم يطف بالبيت وبين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا حين قـــدم ولكنـــه طاف طواف الإفاضة مع هذين الطوافين." [63]

بعد هذا العرض المختصر وتقرير شيخ الإسلام يمكننا أن نقرر الآتي :

- إن الأنســـاك الثلاثة جائزة ولها ما يسندها ، وأن الحاج يمكنه أن يختـــار من بينها النسك الذي يريده وفي كلّ خير ، إلا أنه من الأفضـــل اختيـــار

---

[59] - تقي الدين أبي الفتح بن دقيق ، عمدة الأحكام ، ج3 ، ص2

[60] - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد ، ج8 ، ص360

[61] - الزيلعي ، نصب الراية ، ج3 ، ص101

[62] - ابن حزم الأندلسي ، مرجع سابق ، ج1، ص433

[63] - ابن تيميه ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ج26 ، ص80

التمتع لأنه الأيسر . هذا والرسول (ﷺ) يقول : (لو استقبلت من أمــري ما استدبرت لم أسق الهدي فحلوا) رواه مسلم

- **إن أهل الحرم لا متعة لهم ولا قران فلا بد لهم من الإفراد ، وهــو مذهب الإمام أبي حنيفة وابن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى : [ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ]** البقرة ، من الآية **196**

جاء في الكشاف :" لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنــدهم – ويقصد أبا حنيفة وأصحابه – ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم وهــو دم جناية لا يأكل منه ، وأن القارن والمتمتع من أهل الآفــاق فــدمهما دم نسك يأكلان منه." (64)

- **يحدد الحاج نوع النسك الذي يريده عند وصوله الميقات وهــي خطوة من الخطوات التسعة المعروفة : الغسل ، التطيّب ، لبس الإحرام ، الوضوء ، صلاة ركعتين ، تحديد نوع النسك ، التوبة ، الاشتراط (65) والتلبية.**
- **يتحلل المتمتع بعد تمام العمرة ولا يحرم بالحج إلا يوم التروية من مسكنه في حين أن المفرد والقارن لا يتحللان إلا يوم النحر بعــد رمــي جمــرة العقبة الكبرى.**
- **القارن عليه هدي أقلّه شاة وكذلك المتمتّع ، ومن لم يجد منهمــا فعليــه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.**

---

[64] - الزمخشري ، الكشاف ، ج**1** ، ص**120**

[65] . اختلفت المذاهب في مشروعيّة الاشتراط في الإحرام فذهب الحنفيّة والمالكيّة إلى أنّه غير مشروع ، ولا أثر له في إباحة التّحلّل ، في حين ذهب الشّافعيّــة والحنابلة إلى مشروعيّته ، وأنّ له أثراً في التّحلّل .
وأقول إنه يستحب لك أيها الحاج الاشتراط عند تحديد نوع النسك الذي تريده فتقول :
"إن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني." فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ﷺ) دخل على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها فقالت : يا رسول الله إني أريد الحج وأنا شاكية ، فقال : **(حجي واشترطي أن محلي حيث حبستني.)** متفق عليه

- يظن بعض الناس أن المفرد تتوجب عليه عمرة يؤديها بعد الفــراغ مــن حجه ولا يتم حجه إلا بها والصحيح أنها ليست واجبة عليه وهو بالخيــار إن شاء أداها وإن شاء تركها.
- من المعروف أن المفرد لا يتحلل من إحرامه بعد الطواف والسعي كأصل ، أما إذا جعل حجه عمرة فهو يتحلل ويدخل في الحج بإحرام جديد .

هذا الشكل أورده صاحب منهاج المسلم وصاحب إرشاد الساري إلى عبادة الباري. [(66)]

إلا أن الإمام القرطبي نجده قد نازع هذا الموضوع بقوة قــائلا : " وقــد أجمــع العلماء على تصحيح الآثار بذلك عنه (ﷺ) ولم يدفعوا شيئا منها إلا أنهم اختلفوا في القول بها والعمل لعلل ، فجمهورهم على ترك العمل بها لأنها عندهم خصوص خص بها رسول الله (ﷺ) أصحابه في حجته تلك."[(67)]

ونازعه الإمام الجصاص أيضا بقوله : " قال أبو ذر : لم يكن فسخ الحج لعمرة إلا لأصحاب رسول الله (ﷺ) ، وروي عن علي وعثمان وجماعة من الصحابة إنكار فسخ الحج بعد النبي (ﷺ)."[(68)]

---

66 - أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، ص258

محمد إبراهيم شقرة ، إرشاد الساري إلى عبادة الباري : الحج ، ص 74

67 - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج2 ، ص392

68 - الجصاص ، أحكام القرآن ، ج1، ص362

أركان الحج

أركان الحج المتفق عليها عند جمهور الفقهاء - المالكية والشافعية والحنابلة - أربعة وهي :

- **الإحرام**
- **السعي بين الصفا والمروة**
- **الوقوف بعرفة**
- **طواف الإفاضة**

وخالف الحنفية ولم يعتمدوا إلا الوقوف بعرفة ومعظم طواف الإفاضة.[69] ذلك أنهم يرون أن السعي بين الصفا والمروة واجب ، وأن الإحرام شرط من شروط الصحة ، وأن الأشواط الثلاثة الأخيرة في طواف الإفاضة واجبة.[70]

ومعلوم أن الشافعية وإن اتفقوا مع المالكية والحنابلة في الأركان الأربعة المتقدمة إلا أنهم أضافوا لها ركنين هما :

- **إزالة الشعر**
- **ترتيب معظم الأركان**

ثم إن هناك من رأى أن صلاة الفجر بالمزدلفة ركن من أركان الحج .[71]

ومن رأى أن رمي جمرة العقبة ركن من الأركان .

ومن رأى أن الوقوف بالمشعر الحرام [72] من الأركان .

---

69 - عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص491 ، 492

70 - نفس المرجع ، ص491 ، 492

71 - محمد إبراهيم شقرة ، مرجع سابق ، ص63

72 - قيل إن المشعر الحرام هو جبل قُزَح المعروف بمزدلفة والآن بمكانه المسجد. وفي صحيح مسلم عن جابر أن الرسول (ﷺ) ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام .

ومع احترامنا لمثل هذه الآراء إلا أننا نتفق مع الجمهور. وعليه نــرى أن نلقــي الضوء علــى هذه الأركان الأربعة فقط وهي :

- الإحرام
- السعي بين الصفا والمروة
- الوقوف بعرفة
- طواف الإفاضة

الركن الأول
الإحرام

الإحرام معناه الدخول في الحج والعمرة دون أن يقترن بتلبية أو سوق هدي وذلك عند الشافعية والحنابلة. (73)

وقيل هو نية الدخول في أحد النسكين. (74)

وهــو عند الحنفية التزام حرمات مخصوصة ويتحقق بأمرين هما النية واقترانها بالتلبية. (75)

وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِّ : هُوَ الدُّخُولُ فِي التَّحْرِيمِ ، وَهُوَ أَنْ يَعْتَقِدَ الْإِنْسَانُ الْحَجَّ أَوْ الْعُمْرَةَ بِنِيَّةٍ وَيَلْتَزِمَ بِخَالِصِ مُعْتَقَدِهِ تَحْرِيمَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُنَافِيهَا الْإِحْرَامُ عَنْ نَفْسِهِ مَــا دَامَ مُحْرِما. (76)

والإحرام واجباته ثلاثة هي :

- الإحرام من الميقات ،
- التجرد من المخيط ،

[73] - عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص492

[74] - أبو بكر جابر الجزائري ، مرجع سابق ، ص247

[75] - المرجع السابق ، ص247

[76] - مواهب الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل ، ج7 ، ص318

- **التلبية .**[77]

وسنن الإحرام ستة وهـــــي :

- **الاغتسال للإحرام ،**
- **الإحرام في رداء وإزار أبيضين ،**
- **وقوع الإحرام عقب صلاة ،**
- **تقليم الأظافر ،**
- **تكرار التلبية وتجديدها ،**
- **الدعاء والصلاة على النبي (ﷺ) عقب التلبية.** [78]

والمتمعن في هذا الموضوع يلاحظ الفرق الواضح في الحكم بين الإحرام الذي هو نية الدخول إلى النسك ، وبين الإحرام من الميقات ، وبين لبس ثياب الإحـــرام ، فالأول ركن ، والثاني واجب ، والثالث سنة.

ومحظورات الإحرام كما هو معروف هي :

تغطية الرأس بأي غطاء كان ، حلق الشعر أو تقصيره ، تقليم الأظـــافر ، مـــس الطيب ، لبس المخيط مطلقا ، قتل صيد البر، الجماع ومقدماته ، وعقــد النكـــاح والخطبة.

ويجوز للمحرم لبس الساعة ولبس سماعة الأذن والخاتم والنعلين ، والاســـتظلال بالشمسية وسقف السيارة وحمل الأمتعة . كما يجوز له تضميد الجـــراح وتغييـــر ملابس الإحرام وغسلها وغسل الرأس والبدن. [79]

والمواقيت المكانية التي يحرم منها الحاج يحكيها حديث الرسول (ﷺ) عن ابـــن عباس رضي الله عنهما قال : "وقّت رســــــــول الله (ﷺ) لأهــل المدينـــة ذا

---

[77] - نفس المرجع ، ص247 ، 248

78 - نفس المرجع ، ص248، 249

[79] - طلال بن أحمد العقيل ، دليل الحاج والمعتمر ، ص16

الحليفة ، ولأهل الشام الجحفـــــة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهــل الــيمن يلملم." أخرجه البيهقي.

وأجمل الشاعر هذه المواقيت فقال : عرق العراق يلملم الــيمن وبـــذي الحليفــة يحرم المدني:

والشام جحفة إن مررت بها ولأهـــل نجد قرن فاستبن

في حين أن بقية الحجاج يحرمون من الميقات الذي يمرّون عليه أو الذي يحاذونه لقوله (ﷺ) : (هنّ لهنّ ولمن أتى عليهنّ من غيــر أهلهــنّ ممــن أراد الحــج والعمرة.) متفق عليه.

أما المواقيت الزمانية فنجدها في قوله تعالى : [يسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّــةِ قُــلْ هِــيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ .] البقرة ، من الآية 189

وفي قوله سبحانه وتعالى : [الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَــإِنَّ خَيْــرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ .] البقرة 197

ويقصد بأشهر الحج : شوال ، وذي القعدة باتفاق ، واختلفوا في ذي الحجة هــل هو كامل أو عشرة أيام منه فقط ؟

فبينما يرى الأحناف والشافعيــة والإمام أحمد وابن عمر وابن مسعود رضـــي الله عنهما أنه عشرة أيام فقط يرى الإمام مالك والإمام ابن حزم الظــاهري أنـــــه الشهر بكامله. [80]

وأميل لترجيح الرأي الثاني الذي ذهب إليه الإمام مالك ، والإمام ابن حزم الظاهري لأن فيه سعة أكثر.

---

80 - السيد سابق ، مرجع سابق ، ج1 ، ص453

الركن الثاني

طواف الإفاضة

للطواف عدة أنواع ، فهــناك طواف القدوم ، وطواف التطوّع ، وطواف الوداع ويعرف أيضا بطواف الصدر، وأخيرا طواف الإفاضـــة ، ويطلق عليه أيضا طواف الزيارة .

وهو الطواف الوحيد الركن من بين هذه الأنواع ، وهو ركن في المذاهب الأربعة إلا أن الحنفية يعتبرون الأشواط الثلاثة الأخيرة منه واجبا لا ركنا كما أسلفنا.

يقول تعالى : [ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ.] الحـج 29

ووقته كما هو معروف من ضحى يوم العيد ولا آخر له إلا أنه مــن الأفضــل أن يقوم به الحاج يوم العيــد بعد التحلل الأصغر ، ومن لم يتمكن من ذلك فليؤديــه خلال أيام التشريق الثلاثة ، ولو تعذر ذلك فعلى الحاج أن يجتهد فلا يتعــدى بــه نهاية ذي الحجة دون عذر واضح .

والطواف عموما عبارة عن سبعة أشواط حول الكعبة المشرفة يبدأ الطائف مــن الحجر الأسود متجها يسارا عكس حركة عقارب الساعة لينتهي مرة أخرى عنده.

هذا الحجر يرتبط تاريخه بالرسول (ﷺ) : أرادت قريش بناء البيت بعد أن انهدم فتنازعوا بينهم حول موضع الحجر الأسود ، واتفقوا أن يضعه أول رجــل يــدخل عليهم من الباب فكان الرسول (ﷺ) ، فوضعه (ﷺ) في مكانــه الحــالي . (81)

والحجر الأسود يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من الكعبــة وهــو حجــر ثقيــل بيضاوي الشكل أسود اللون مائل إلى الحمــرة مغــروس داخــل جــدار الكعبــة المشرفة.، قطره ثلاثين سنتيمترا ، وعرضه عشرة سنتيمترات ، ويحيط به إطــار

---

81 - البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفــة أحوال صاحب الشريعة (ﷺ) ، ج2 ، ص57

من الفضة. ويرتفع عن الأرض بمقدار متر ونصف تقريبا . وهو يمين الله في الأرض يصافح بها عباده ، وهو ياقوتة من يواقيت الجنة .

يقول (ﷺ) : (إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب) وقال (ﷺ) : (إن الحجر الأسود نزل من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم.) وعن ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال: إن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق. رواه أحمد

ويقول (ﷺ) : (الحجر الأسود من الجنة) رواه أحمد

وقيل يأتي يوم القيامة مثل جبل أحد شاهدا لمن استلمه بحق. [82]

وهو المكان الذي عنه تسكب العبرات ، روى الحاكم أن النبي (ﷺ) قبّل الحجرالأسود وبكى طويلا، ورآه عمر فبكى فقال (ﷺ) :(يا عمر هنا تُسكب العبرات) وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو يقبله : (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله (ﷺ) يقبلك ما قبلتك.) رواه الشيخان .

يبدأ زمن طواف الإضافة من يوم عيد النحر إلى آخر شهر ذي الحجة فلا يصح قبل يوم العيد ، أما إذا أخّره الحاج عن وقته المذكور لزمه دم وفقا لرأي المالكية.[83] ويتفق معهم الحنفية في بداية وقت الطواف ولكنهم يعتقدون أنه إلى آخر العمر بعد الوقوف بعرفة .

---

[82] - سائد بكداش ، فضائل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ص41 وما بعدها

[83] - محي الدين بن شرف ، مرجع سابق ، ج7 ، ص112

ويجب أن يكون في أشهر الحج المعلومة فإذا لم يطف الحاج خلال شهر ذي الحجة كان عليه أن يطوف طواف الإفاضة في أشهر الحج نفسها في سنة أخرى.
ويخالف الشافعية في بداية وقته فيرون أنه بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته.
ويتفق معهم الحنابلة في البداية التي هي نصف ليلة عيد النحر ولا آخر له عندهم. (84)وطواف الإفاضة يعتبر أفضل أركان الحج ، قال القرافي :" أفضل أركان الحج الطواف لأنه مشتمل على الصلاة وهو نفسه شبيه بها ، والصلاة أفضل من الحج فيكون أفضل الأركان." (85)وقال ابن عبد السلام : " وأفضل أركان الحج الطواف فهو أفضل من الوقوف لشبهه بالصلاة." (86) وفي حاشية العدوى جاء : "والطواف للإفاضة هو أفضل أركان الحج." (87).
ومن المعروف أنه ليس هناك إلزام على الحاج للدعاء بدعاء معين ولكن يستحب أن يدعو الحاج عند محاذاة الحجر الأسود في بداية الطواف فيقول : "بسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعا لسنة نبيّك محمد (ﷺ)."
وعند باب البيت يقول : " اللهم هذا البيت بيتك ، وهذا الحرم حرمك ، وهذا الأمن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار. "
وعند النظر لمقام إبراهيم يقول :" اللهم إن بيتك عظيم ، ووجهك كريم ، وأنت أرحم الراحمين ، فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم ، وحرّم لحمي ودمي على النار وأمّني من النار وأمّني من أهوال يوم القيامة ، وأكفني مئونة الدنيا والآخرة."

---

84 - عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص502

85 - محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله ، مرجع سابق ، ج2 ، ص538

86 - عبد الرؤوف المناوي ، فيض القدير ، ج2 ، ص31

87 - علي الصعيدي المالكي ، حاشية العدوى ، ج2 ، ص532

وعند الركن العراقي يقول :" اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر في الأهل والمال والولد."

وعند الميزاب يقول : " اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، اللهم أسقني بكأس محمد (ﷺ) شربة لا أظمأ بعدها أبدا."

وعند الركن الشامي يقول : " اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم."

وعند الركن اليماني يقول : " اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة."

وبين الركن اليماني والحجر الأسود يقول : " اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار."

وعند الحجر الأسود يقول :" اللهم اغفر لي برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر." [88]

ويقول الحاج بعد ركعتي الطواف: " اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى ، واغفر لي في الآخرة والأولى ، وأعصمني بألطافك حتى لا أعصيك ، وأعني على طاعتك بتوفيقك ، وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببني إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين. اللهم فكما هديتني إلى الإسلام فثبتني عليه ، بألطافك وولايتك واستعملني لطاعتك وطاعة رسولك وأجرني من مضلات الفتن." [89]

ويقول عند الملتزم بعد طواف الوداع : "اللهم هذا بيتك ، وأنا عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، حملتني على ما استخرت لي من خلقك ، وسيرتني في بلادك

---

[88] - الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج1، ص297 ، 298

[89] - المرجع السابق ، ج1 ، ص299

حتى بلغتني بنعمتك بيتك ، وأعنتني على قضاء نسكي. فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا ، وإلا فمن الآن قبل أن تنآى عن بيتك داري . هذا أوان انصرافي إن أذنت مستبدل بك ولا بيتك ، ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم أصحبني العافية في بدني والصحة في جسمي والعصمة في ديني وأحسن منقلبي ، وأرزقني طاعتك ما أبقيتني ، واجمع لي خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شئ قدير. [90]

ومن المعروف أن الطهارة من شروط الطواف فلا يسمح للحائض والنفساء بالطواف حول البيت ، يقول ابن عباس رضي الله عنه أن الرسول (ﷺ) قال : (إن النفساء والحائض تغتسل وتحرم ، وتقضي المناسك كلها غير أنها لا تطوف حول البيت حتى تطهر.) رواه أحمد وأبو داود.

وقال (ﷺ) لعائشة حين حاضت : (إن هذا شئ كتبه الله على بنات آدم فاقض ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تغتسلي.) رواه مسلم.

وجاء في عمدة القاري :

"وقال ابن بطال : العلماء مجمعون أن الحائض تشهد المناسك كلها غير الطواف بالبيت . وقال المهلب إنما منعت الحائض من الطواف على غير طهارة تنزيها للمسجد من النجاسات." [91]

ولم يقف الإمام مالك عند هذا الحد بل ذكر أن حديث الرسول (ﷺ) لعائشة شمل منع الحائض من المسعي أيضا إلى أن تطهر . [92]

إلا أن علماء السودان نجدهم قد يسروا للمرأة فسمحوا لها بالطواف في حالات الضرورة وهي حائض اعتمادا على رأي الإمامين : ابن تيميه وابن القيم.

جاء ذلك في القرار رقم 2(21/12) ما يأتي :

---

90 - عبد السلام بن تيميه ، المحرر في الفقه ، ج1 ، ص248

91 - عمدة القارئ ، ج9 ، ص293

92 - مالك بن أنس ، موطأ الإمام مالك ، ج ١ ، ص411

"**يجوز للمرأة الحاجة استعمال ما يؤخر الدورة الشهرية في فترة الحج إذا لم يترتب على المانع أي ضرر ومقيد ذلك بمعرفة الطبيب المسلم الموثوق به. أما إذا نزل الحيض وهي في أثناء أعمال الحج وكانت مع رفقة لا تستطيع التخلف عنها إلى انقضاء الحيض فيرى الإمامان ابن تيميه وابن القيم أن تغتسل وتستثغر بما يمنع نزول الدم ثم تطوف وتسعى وتفعل بقية أعمال حجها ويكفيها ذلك وحجها صحيح لأنها حالة ضرورة والضرورة تقدر بقدرها [لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسا إِلا وُسْعَهَا] والله أعلم." (93)**

وشبيه بهذا الرأي ما أورده الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي ، يقول :

"وإذا اضطرت المرأة اضطرارا شديدا لمغادرة مكة قبل انتهاء مدة الحيض أو النفاس ولم تكن قد طافت طواف الإفاضة فتغتسل وتشد الحفاظ الموضوع في أسفل البطن شدا محكما ثم تطوف بالبيت سبعا وعليها ذبح بدنة ."(94)

هذا الرأي الذي تبناه علماء السودان وإن خالف في ظاهره حديث الرسول (ﷺ) لعائشة إلا أنه يصب في إطار فقه التيسير والضرورة ، ويجد موقعه في هذا الزمان الذي يشق فيه الحج على النساء.

---

93 - مجلة مجمع الفقه الإسلامي / السودان ، العدد الأول ، 1422هـ ، 2001 م ص314

راجع في في ذلك : مجموع الفتاوى لابن تيمبة ، ج26 ، ص 244

وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ، ج3 ، ص16 وما بعدها

94 - أ. د. وهبة الزحيلي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص2222

الركن الثالث
السعي بين الصفا والمروة

هناك خلاف حاد حول حكم السعي بين الصفا والمروة : ذهب مالك والشافعي وأحمد - في إحدى الروايتين عنه – وابن عمر وعائشة وجابر رضي الله عنهم إلى أنه ركن.

وذهب أحمد في رواية له ، وابن عباس وأنس وابن الزبير وابن سيرين رضي الله عنهم إلى أنه سنة.

أما أبو حنيفة والثوري والحسن فقد رأوه واجبا.[95]

ومهما يكن من أمر فإن الراجح عندي هو رأي الجمهور الذي اعتبر السعي بين الصفا والمروة ركنا وذلك لحديث حبيبة بنت أبي تجرأة وهي إحدى نساء بني عبد الدار أن الرسول (ﷺ) قال : (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي.) رواه أحمد.

ولحديثه (ﷺ) : (يا أيها الناس اسعوا فإن السعي قد كتب عليكم.) رواه الدارقطني.

إضافة إلى أن الصفا والمروة من شعائر الله ، يقول نعالى : [إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ .] البقرة **158**

إن نشأة فكرة السعي بين الصفا والمروة ترتبط بإسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

عندما ولدت هاجر إسماعيل عليه السلام غارت سارة منها فأخذ إبراهيم عليه السلام الطفل وأمه ووضعهما عند البيت تاركا لهما جرابا فيه تمر وسقاء به ماء ، وانطلق ، وهناك دعا ربه : [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ.] إبراهيم **37**

---

[95] - السيد سابق ، مرجع سابق ، ج**1** ، ص**490** ، **491**

وعندما نضب الماء عطشت هاجر وعطش ابنها وصعب عليها النظر إليــه وهــو يتلوّى ، فاتجهت نحو جبل الصفا ومنه نحو جبل المروة بغية أن تجد أحدا أو تجد ماء وفعلت ذلك سبع مرات ، علما بأن المسافة بين الجبلــين حــوالي أربعمائــة وعشرون مترا. [96]

قال ابن عباس رضي الله عنه إن النبي (ﷺ) قال : (فذلك سعي الناس بينهمــا.) رواه البخاري.

بعد ذلك ظهر لهاجر جبريل عليه السلام وبحث بجناحــه فظهــر المــاء وكانــت زمزم.[97] **وبئر زمزم هذه هي الآية الخالدة التي أصبحت وما زالت ناطقة بعظمة الله جل وعلا.**

هذه البئر المعجزة حفرها بعد ذلك عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ﷺ) بعــد أن أعلن نذره المشهور والقاضي بأن يذبح أخد أبنائه شكرا لله إن أصــبح عــددهم عشرة والقصة مشهورة وتتلخص باختصار في أن أبناء عبــد المطلــب اكتمــل عددهم عشرة ، وعندما رمى بالقداح خرجت على ابنه عبد الله وكان أصــغرهم . وهنا تدخلت قريش وأشارت إليه بضرورة مشورة عرافة بالحجاز . أمرت العرافة برمي القداح على عبد الله وعشرة من الإبل وعد تنفيذ ذلك خرجت القــداح مــرة أخرى على عبد الله ، وظل عبد المطلب يرمي القداح بهذا الشكل وهي تخرج على عبد الله حتى أصبحت الإبل مائة ، عندها خرجت القداح على الإبل فنحرها جميعا . [98]

وزمزم هي الاسم المعروف للبئر المشهورة في المسجد الحرام والتي بينها وبين الكعبة المشرّفة ثمان وثلاثون ذراعا .

---

96 - فوزي محمد أبو زيد ، زاد الحاج والمعتمر ، ص79

97 - ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص111، 112

98 - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص248

إن ماء زمزم ذو فضائل عظيمة وخصائص وبركات وقد أحصى الأستاذ سائد بكداش بعضا منها : فهي عين من عيون الجنة غسل بها قلب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبارك فيها بريقه الشريف ، وهي أولى الثمرات التي أعطاها الله لخليله إبراهيم عليه السلام ، وهي سبب عمران وحياة مكة المكرمة ، وهي من الآيات البينات ومن أعظم النعم والمنافع المشهودة في الحرم ، وهي خير ماء على وجه الأرض وقد نبع في أقدس بقعة على وجه الأرض على يد الروح الأمين جبريل عليه السلام ، وهي طعام طعم وشفاء سقم ، وهي شراب الأبرار. [99]

والسعي كما هو معروف يبدأ من جبل الصفا وينتهي عند جبل المروة ، والمسافة بينهما سبعمائة وسبعة وسبعون ذراعا بذراع الآدمي. [100] وجبل الصفا هو قطعة من جبل أبي قبيس الذي هو أول جبل وضعه الله على الأرض.

وهو الجبل الأمين الذي استودع فيه آدم ونوح عليهما السلام الحجر الأسود حتى جاء إبراهيم عليه السلام فأخذه.

وهو الجبل الذي صعد عليه إبراهيم عليه السلام وأذّن في الناس بالحج فأسمع صوته جميع الخلائق.

أما جبل المروة فهو جزء من جبل قعيقعان أحد أخشبي مكة.[101] والمسعى بين الصفا والمروة هو المكان الذي قيل إن الشيطان لعنه الله عرض لسيدنا إبراهيم عليه السلام فيه فسبقه سيدنا إبراهيم عليه السلام.

والسعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج عند جمهور الفقهاء "المالكية ، الشافعية ، الحنابلة." ولم يخالف إلا الحنفية الذين اعتبروه واجبا كما أسلفنا.

---

99 - سائد بكداش ، فضائل ماء زمزم ، ص**81 - 110**

100 - سليمان بن محمد البجيرمي ، حاشية البجيرمي ، ج**2** ، ص**127**

101 - د. محمد مصطفى محمد صالح ، مرجع سابق ، ص**20 -22**

والسعي لا يكون إلا بعد طواف ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : "قدم رسول الله (ﷺ) فطاف بالبيت سبعا ، ثم صلى خلف المقام ركعتين ، وطاف بين الصفا والمروة ." رواه البخاري والسعي كما هو معروف سبعة أشواط يبدأ بالصفا وينتهي عند المروة .

يتلو الحاج عندما يدنو من جبل الصفا قوله تعالى : [إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ .] البقرة 158 وعند صعود جبل الصفا وقد شاهد الحاج الكعبة يبدأ بالبسملة ويقول : " الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله على ما هدانا ، الحمد لله بمحامده كلها ، على جميع نعمه كلها ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العامين .

اللهم إني أسألك إيمانا دائما ، ويقينا صادقا ، وعلما نافعا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة ." (102)

ثم يتجه إلى جبل المروة مهرولا بين العمودين الأخضرين ، وللحاج أن يدعو بما يشاء .

وعند وصوله جبل المروة يصنع ما صنع على جبل الصفا وهكذا حتى تنتهي الأشواط السبعة.

---

[102] - الإمام الغزالي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص300

الركن الرابع

الوقوف بعرفة

تقع عرفة جنوب شرق المسجد الحرام .

ووقت الوقوف بها من طلوع فجر اليوم التاسع من ذي الحجة إلى طلوع فجر يوم العيد .

ومن السنة أن يجمع بين الليل والنهار وأن يقف بعرفة قبل الـزوال ولا يتحـرك منها إلا بعد دخول الليل.

هذا وقد كثرت الأقوال في سبب تسمية هذا اليوم بيوم عرفة أحدها : ما قيل مـن أن سيدنا آدم وحواء تعارفا فيـه ، وثانيها : أن جبريل عليه السلام بين لإبراهيم الخليل مناسك الخج فيها فقال له : عرفت . وثالثها : أن الحاج فيها يتعرف على ذنوبه .[103]

وفي عرفة يقصر الحاج ويجمع بين صلاتي الظهر والعصر جمع تقديم ولا يصلي المغرب بها حيث يجمع بينه وبين العشاء بمزدلفة جمع تأخير .

وعرفة كلها موقف إلا وادي عرنة "بطن الوادي" . هذا الوادي لا يعتبر جزءا من عرفة وفقا لرأي الجمهور ولا يخالف في ذلك إلا الإمام مالك رضي الله عنه.[104]

هذا الوادي هو الوادي الذي خطب فيه الرسول (ﷺ) خطبة الوداع ، وفيه قتـل عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بأمر الرسول (ﷺ) الطاغية خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي الذي كان قد استعد لغزو المدينة المنورة . روى الحكاية الإمام أحمد في مسنده.

والوقوف بعرفة ركن على المتيقن والمتفق عليه فلا يخالف في ذلك أحـد لقولـه (ﷺ) : (الحج عرفة) متفق عليه **ويقول (ﷺ) (من أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج.)** رواه الترمذي.

---

103 - فوزي محمد أبو زيد ، زاد الحاج والمعتمر ، ص88

104 - النووي ، مرجع سابق ، ج8 ، ص181، 182

ويقول (ﷺ) أيضا :(من أدرك عرفة بليل فقد أدرك الحج ، ومن فاته عرفة بليل فقد فاته الحج.) رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبزار. **ويوم عرفة من الأيام العظيمة ذات الفضل الواسع المتعاظم. قال (ﷺ) : (يوم الجمعة أفضل الأيام إلا يوم عرفة وإن وافق يوم الجمعة فهو أفضل من سبعين حجة جمعة.)** أخرجه رزين مرفوعا

وقال بعض السلف : (إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة.)[105]

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ﷺ) قال : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنوا ثم يباهي بهم الملائكة.) رواه مسلم.

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : (ما رؤي الشيطان يوما فيه هو أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام.) رواه الإمام مالك في الموطأ.

ومن القصص الطريفة التي يحفظها التاريخ عن ذلك اليوم قصة ابن المنكدر : يروى أن محمد بن المنكدر حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان آخر حجة قال وهو بعرفات : " اللهم إنك تعلم أنني قد وقفت في موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي ، والثانية عن أبي ، والثالثة عن أمي. وأشهدك يا رب أنني قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفي هذا ولم تقبل منه." فلما دفع من عرفات ونزل بالمزدلفة نودي في المنام :"يا ابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم ؟ أتتجود على من خلق الجود ؟إن الله تعالى يقول لك : وعزتي وجلالي : لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أخلق عرفات بألفي عام." [106]

ومن القصص الطريفة أيضا أن علي بن الموفق قال : "حججت في بعض السنين فنمت بين مسجد الخيف ومنى فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فقال

---

105 - الإمام الغزالي ، مرجع سابق ، ج1، ص240

106 - السيد البكري الدمياطي ، إعانة الطالبين ، ج2 ، ص288

أحـــدهما لصاحبه : يا عبد الله أتعلم كم حج بيت ربنا في هـــذه الســـنة ؟قـــال : ستمائة ألف. ثم قال له : أتدري كم قبل منهم ؟ قال : لا . قال ستة أنفس.
ثم ارتفعا في الهواء فقمت وأنا مرعوب رجاء واخيبتاه أن أكون أنا في هذه الستة أنفس ، فلما وقفت بعرفة وبت بالمزدلفة رأيت الملكين قد نزلا من السماء أحدهما على الآخر وقال : يا عبد الله أتدري ما حكـــم ربك في هذه الليلة ؟ قـــال : لا ، قال : فإنـــه وهب كل واحد من الستة مائة ألف وقد قبلوا جميعا . قال فانتبهـــت وبي من السرور مالا يعلمه إلا الله تعالى."[107]
والدعاء في عرفة مستجاب ولا يلزم الحاج بدعاء معين ولكن هناك أدعية مأثورة يمكن أن يدعو بها الحاج نثبت منها الدعاء الآتي : "بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إلـــه إلا هـــو العزيـــز الحكيم . وأنا على ذلك من الشاهدين.
يا رب ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم اجعل في بصري نورا ، وفي سمعـــي نورا ، وفي قلبي نورا. اللهـــم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري. اللهم إني أعوذ بك من وســـواس الصـــدر ، وشتات الأمر وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهـــار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق الدهر. اللهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيرا مما نقول.
اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي. اللهم إني أعوذ بك من شر ما تهب به الريح. اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، أحمـــدك بجميـــع محامدك ما علمت منها وما لم أعلم ، وأستغفرك من ذنوبي كلها ما علمت منهـــا وما لم أعلم. الحمد لله على ما أولانا. الحمد لله على ما أعطانا. الحمد لله الـــذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا كما يحب ربنا ويرضى. اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت. يا

[107] - المرجع السابق ، ج2 ، ص 288

من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ، هب لي ما لا ينفعك واغفر لــي مــا لا يضرك يا واسع المغفرة.
اللهم أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك ولذة طاعتك وتقبل مني صــالح الأعمــال واعصمني عن الخطأ والزلل فيما بقي من عمري وافــتح لــي أبــواب رحمتــك وزودني التقوى والتوفيق واجعلني أتقلب في رضائك ونعمك ما حييت وألبســني ثوب الصحة والعافية ما بقيت يا أرحم الراحمين ويا خير مسئول.
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفــــي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهــم إنــي ظلمت نفسي ظلما كثيرا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عنــدك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم اغفر لي مغفرة من عنــدك تصــلح بهــا شأني في الدارين وارحمني رحمة منك أسعد بها في الدارين. وتب علــي توبــة نصوحة لا أنكثهــا أبدا وألزمني سبيل الاستقامة لا أزيغ عنها أبدا. اللهم انقلنــي من ذل المعصية إلي عز الطاعة وأغنني بحلالك عــن حرامــك وبطاعتــك عــن معصيتك وبفضلك عمن سواك ، ونوّر قلبي وقبري وأعذني من الشر كله واجمــع لي الخير كله. اللهم استودعتك ديني وأمانتي وقلبي وبدني وخواتيم عملي وجميع ما أنعمت به علي فأنت خير حافظ وأنت أرحم الراحمين. اللهم إني أسألك إيمانــا كاملا ويقينا صادقا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا ورزقا حلالا واسعا وتوبة قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة ورحمة وعفوا عند الحساب. اللهم إني أعوذ بك مــن الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر والمنقلب في المال والأهل والولد.
اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك.
اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشــي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعــل الموت راحة لي من كل شر. اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي وكــل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم

وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير. اللهم إنـــــــي أسألك رضاك والجنـــة وأعوذ بك من سخطك والنار. اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر ومن فتنة المحيا والممات. اللهم إني أعوذ بك من الهم الحزن ، وأعوذ بك من العجـــز والكســـل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، وعمل لا يرفـــع ، ودعـــاء لا يســـمع. اللهـــم فـــاطر السماوات والأرض ضجت لك الأصوات بصنوف اللغـــات يمجـــدونك ويســـألونك الحاجات وحاجتي إليك أن تحيي قلبي وأن تلحقني بالصالحين ممن ذاقوا حـــلاوة طاعتك وفازوا برضائك ودخلوا في رحمتك وغنموا فضلك وإحسانك ونالوا كرمك وعفوك يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لـــــي شأني كله ولا تكلني إلـــى نفسي طرفة عين. لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم. اللهم حبـــب إلينـــا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفســـوق والعصـــيان واجعلنـــا مـــن الراشدين. اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأســـماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا علـــى مـــن ظلمنـــا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. اللهم استرنا فـــــــي الدنيا والآخرة بسترك الذي لا ينكشف واجعلنا من التوابين المتطهرين الذين تحـــبهم وترضـــى عنهم ، واختم لنا بخاتمة أهل الخير والسعادة وهون علينا سكرات الموت حتى لا نجد له تعبا ولا نصبا واجعل موتنا على طهارة ونظافة وشهادة وهيئة حسنة يـــا أرحم الراحمين. اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفـــورا وعمـــلا صالحا مقبولا وتجارة لن تبور. اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي من هـــذا الموقـــف العظيم ومن هذا المشهد المبارك ، واجعلني فيه من الفائزين المقبولين ، اللهم يا مجيب الدعوات ، يا قاضي الحاجات ، يا خالق الأرض والسماوات ، أنت الله الذي

لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الوهاب الذي لا يبخل ، والحليم الـذي لا يعجل ، لا راد لأمرك ولا معقب لحكمك أسألك أن تشرح صـدري وتنـوّر قلبـي وتيسّر أمري وأسألك رضاك والجنة والهدى والرشاد وحسن الخاتمـة. اللهـم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا كربا إلا كشـفته ولا دينا إلا قضيته ولا عدوا إلا كفيته ولا فسادا إلا أصلحته ولا مريضا إلا شفيته ولا شاكيا إلا عافيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين ووفقهم للتمسك بالدين ، وارفع عنهم التنازع والشقاق والنفاق ، وأهدهم إلى الصراط المستقيم ومحاسن الأخلاق ، وأكثر فيهم من العلماء العاملين والأتقياء المخلصين والأبرار المقربين ، واهلك اللهم الكفرة والمشركين واجعل بأسهم بينهم إلى يوم الدين وفرق كلمتهم وشـتت شملهم ودمر ديارهم يا رب العالمين. اللهم وفق ولاة الأمور لمعرفـة شـريعتك ونصرة دينك القويم واقذف في قلوبهم الخوف منك حتـى يبتعـدوا عـن الظلـم والاستبداد ونوّر بصائرهم حتى يروا طريق الرشاد فيشتغلوا بما يـنفعهم وينفـع العباد والبلاد وألن قلوبهم للضعفاء والفقراء ووجههـم إلـى المصـالح العامـة والخاصة واجعل المحبة متبادلة بينهم وبين شعوبهم ورعاياهم وتوجهم بتاج العز والكرامة وانصرهم نصرا مبينا على أعداء الدين يا رب العالمين. اللهم اغفر لنـا ولوالدينا ولمشايخنا في الدين ولإخواننا في الله ولجامع هذه الأدعيـة وطابعهـا وناشرها وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات في مشارق الأرض ومغاربها. آمين . وصلى الله على سيدنا محمد أبي القاسم الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. سبحان ربك رب العزة عمـا يصفون. وسلام علـى المرسلين . والحمد لله رب العالمين." (108)

[108] - محمد طاهر عبد القادر الكردي ، دعاء عرفة ، ص4 وما بعدها.

واجبات الحج

واجبات جمع واجب ، والواجب هو ما لو تركه الحاج يؤثم ويجب عليه الدم ولكن حجه لا يبطل .

جاء في حاشية البجيرمي : " ومن ترك واجبا من واجبات الحج ... سواء تركه عمدا أو سهوا أو جهلا لزمه بتركه دم وهو شاة ." (109)
ويقول صاحب المجموع : " وأما الواجبات فمن ترك منها شيئا لزمه الدم ويصح الحج بدونه سواء تركها كلها أو بعضها عمدا أو سهوا ولكن العامد يؤثم ." (110)
وواجبات الحج كثيرة : منها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف فيه .
وهناك واجبات عامة لا تختص بركن دون الآخر جرى على بعضها الخلاف :
فالشافعية يرون أنها خمسة :

- **الإحرام من الميقات**
- **المبيت بمزدلفة ليلة العيد**
- **رمي الجمار**
- **المبيت بمنى ليالي أيام التشريق الثلاثة**
- **طواف الوداع .**

ويتفق معهم الحنابلة على هذه الخمسة مع إضافة واجبين آخرين هما :

- **الوقوف بعرفة إلى الغروب لمن وقف بالنهار.**
- **الحلق أوالتقصير.**

---
[109] - حاشية البجيرمي ، ج7 ، ص206
[110] - المجموع ، ج8 ، ص266

أما واجبات الحج عند الحنفية فهي :

- **السعي بين الصفا والمروة ،**
- **الحضور بمزدلفة ،**
- **رمي الجمار ،**
- **الحلق أو التقصير ،**
- **بعض طواف الإفاضة**

وواجبات الحج عند المالكية هي :

- **الإحرام من الميقات**
- **التلبية**
- **طواف القدوم**
- **النزول بمزدلفة بقدر حط الرحال عند عدم العذر**
- **رمي الجمار**
- **الحلق أو التفصير**
- **ركعتا الطواف**
- **الجمع بعرفة والمزدلفة**
- **المبيت بمنى ليالي الرمي**
- **إفراد الحج**

من هذا العرض المختصر نلاحظ أن من الواجبات التي وقع عليهـــا الاتفـــاق أو شبه الاتفاق بين المذاهب الآتي :

- **الإحرام من الميقات لمن كان خارج الميقات**
- **رمي الجمار**
- **النزول أو المبيت بمزدلفة مع اختلافات يسيرة**
- **المبيت بمنى**

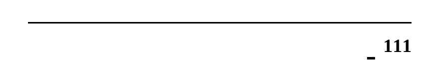
أما الواجبات التي وقع عليها الاختلاف فكثيرة منها :

- التلبية وقت الإحرام : فهي واجبة عند الإمام مالك على المشهور ، وسنة عند الشافعي وأحمد ، وشرط عند أبي حنيفة ، أما التلبية بعد الإحرام فهي سنة باتفاق .
- طواف القدوم : وهو واجب عند الإمام مالك وسنة عند الجمهور .
- السعي بين الصفا والمروة : وهو واجب عند الأحناف ، وركن عند مالك والشافعي ورواية عن أحمد .
- الحلق أو التقصير : وهو واجب عند مالك ، وأبي حنيفة ، وأحمد ، وركن عند الشافعي.
- طواف الوداع : وهو واجب عند الجمهور ، وسنة عند مالك ، وفرض عند ابن حزم .
- الإحرام من الميقات واجب عند الحنابلة والشافعية والمالكية .

في هذا الكتاب نرى إلقاء بعض الضوء على بعض هذه الواجبات : الإحرام من الميقات لمن كان خارج الميقات .

وهذا واجب عند الشافعية والحنابلة والمالكية لحديث الرسول (ﷺ) : (لا تجاوزوا الميقات إلا بإحرام .)

وعليه فالحاج الذي يتجاوز الميقات قاصدا ومتعمدا يلزمه الرجوع إليه للإحرام منه مرة أخرى وإلا لزمه دم.[111]



[111] -

ومن المعروف أن أنواع الدماء خمسة على الاختصار وتسعة على التفصيل :

الأول : دم واجب بترك نسك . يقول تعالى : [فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فـــي الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة] البقرة **196. ويدخل في هذا النوع : دم التمتع ، ودم الفوات ، والدم المنوط بترك مأمور به .**

الثاني : دم واجب بالحلق والترفه . يقول تعالى : [فمن كان منكم مريضـــا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك.] ويدخل في هذا النوع دم الحلق والقلم . ويسمى هذا النوع : فدية التخيير أو فدية الأذى.

ثبت أن الرسول (ﷺ) قال لكعب بن عجرة : (لعلك آذاك هوام رأسك) فقال : نعم يا رسول الله ، فقال : (أحلق رأسك وصم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، أو نسك شاة .)

الثالث : الدم الواجب بالإحصار . يقول تعالى : [فإن أحصرتم] ويدخل فيه دم الإحصار .

الرابع : الدم الواجب بقتل الصيد . يقول تعالى : [فجزاءٌ مثل ما قتل في النعم يحكم به ذوا عدل منكم] ويدخل في هذا النوع دم قتل الصيد .

الخامس : الدم الواجب بالوطء (حدثني يحيى عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبا هريرة سئلوا عن رجل أصاب أهله وهو محرم بالحج فقالوا ينفذان يمضيان لوجههما حتى يقضيا حجهما ثم عليهما حج قابل والهدي (الذبح) ويدخل في هذا النوع دم الجماع ، ودم الاستمتاع .

أما النوع التاسع فيخرج من هذه الخمســــــة وهو دم القران .[112] والمواقيت المكانية خمسة :

- **ذو الحليفة وهو ميقات أهل المدينة (أبيار علي)**

---

112 - البهوتي ، الإقناع ، ج1، ص241 - 247

- **الجحفة (تحول إلى رابغ وأعيد للجحفة مرة أخرى) وهو ميقات أهل الشام ومصر والمغرب .**
- **يلملم وهو ميقات أهل اليمن (السعدية)**
- **قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد (السيل الكبير أو وادي محرم)**
- **ذات عرق وهو ميقات أهل العراق (الضريبة)**

رمي الجمار

رمي الجمار أو الجمرات عمل معنوي رمزي مقصود منه مقاومة الشيطان ونبذه.
وهو واجب عند الشافعية والحنابلة والمالكية .
ومقصود منه أيضا ذكر الله والامتثال لأوامره تسليما.
هذا وبالرغم من أن كثيرا من العلماء كان قد ثار على السبب الأول مركزا على السبب الثاني إلا أن مقاومة الشيطان ونبذه يظل أحد الأسباب الرئيسة التي لا يستطيع أحد أن ينكرها.
فالإمام القرطبي رحمه الله روى كيف أن الشيطان عرض لجبريل عليه السلام وإبراهيم عليه السلام عند جمرة العقبة الكبرى وعند الجمرتين الوسطى والصغرى ، وكيف أنهما رمياه وكبرا عند كل رمية. [113]
وقصة هذا الشيطان اللعين تذكرنا بقصيدة بديعة للأستاذ عباس محمود العقاد في ديوانه : أشباح الأصيل بعنوان : ترجمة شيطان مطلعها :

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم
غسق الظلماء في قاع سقر
ورمى الأرض به رمي الرجيم
عبرة فاسمع أعاجيب العبر

---

[113] - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ج2 ، ص129

يقول الأستاذ العقاد في ديباجة هذه القصيدة : " في هذه القصيدة قصـــة شـــيطان ناشئ سئم حياة الشياطين وتاب من صناعة الإغواء لهوان الناس عليـــة وتشـــابه الصالحين والطالحين منهم عنده فقبل الله منه هذه التوبة وأدخله الجنة وحفّه فيها بالحور العين والملائكة المقربين. غير أنه ما عتّم أن سئم عيشـــة النعـــيم ومـــلّ العبادة والتسبيح وتطلّع إلى مقام الإلهية لأنه لا يستطيع أن يرى الكمال الإلهي ولا يطلبه ثم لا يستطيع أن يطلبه ويصبر على الحرمان منه ، فجهر بالعصـــيان فـــي الجنة فمسخه الله حجرا فهو ما يبرح يفتن العقول بجمال التماثيل وآيات الفنون."

جمرة العقبة الكبرى

والجمهور على أن رمي جمرة العقبة الكبرى واجب وهو الرأي الذي أطمـــئن إليه ولم يخالف فيما أعلم إلا عبد الملك صاحب مالك الذي رأى أنهـــا ركـــن مـــن أركان الحج. [114] وهي عبارة عن سبع حصايات ، ووقتها مـــن منتصـــف ليلـــة النحر. والأفضل أن ترمى بعد طلوع الشمس لما روي عن عبـــد الله بـــن عبـــاس رضي الله عنهما أن الرسول (ﷺ) قال : (لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشـــمس.) [115]ولقوله (ﷺ) : (لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس) رواه الطبراني في المعجـــم الكبير ولقول جابر رضي الله عنه قال : " رأيت رســـــــول الله (ﷺ) يرمي جمرة العقبة ضحى يوم النحر." رواه مسلم. وفي ذلك يقول ابن عبد البر : " أجمع علمـــاء المسلمين على أن رسول الله (ﷺ) إنما رماها ضحى ذلك اليوم." [116] ويرى مالك وأبو حنيفة وأحمد وأبو ثور وإسحاق رضي الله عنهم أن رميها يجوز بعد الفجـــر قبل طلوع الشمس.

---

114 - ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج1 ، ص258

115 - عبد الله بن قدامة المقدسي ، الكافي في فقه ابن حنبل ، ج1 ، ص445

116 - ابن قدامة ، المغني ، مرجع سابق ، ج3 ، ص219

ويرى الشافعي وعطاء وعكرمة بن خالد رضي الله عنهم جواز رميها بعد منتصف الليل وقبل الفجر اعتمادا على رواية أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فقد كانت ترميها ليلا.

الجمرات الثلاثة

أما الجمرات الثلاثة فيرميها الحاج أيام التشريق الثلاثة ، يرمي كل جمـــرة بســـبع حصايات كل يوم.

وزمن رمي الجمرات أيام التشريق يكون بعد الزوال وهو محـــل اتفـــاق المـــذاهب الأربعة.

ويعتمدون على حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهمـــا : "رمـــى رســـول الله (ﷺ) الجمار حين زالت الشمس." رواه أحمد.

إلا أن الحنفية يرون أن الحاج إذا أجل الرمي إلى الليل ورمى قبل طلـــوع الفجـــر جاز.

هذا وبعد أن توسعت دائرة الحجاج وتزايدت أعدادهم وأصبح الرمي بعـــد الـــزوال يشكّل صعوبة عملية أفتى علماء السودان في مجمع الفقه الإســـلامي بـــالخرطوم بجواز رمي الجمرات في كل الأوقات أثناء ساعات اليوم والليلة اعتمادا على فقـــه الضرورة وفي ذلك تسهيل لمهمة الحاج التي تغدو صعبة للغاية في ظل الرمي بعد الزوال.

يقول علماء السودان : " نظرا للمشقة الكبيرة التي قد تؤدي إلى إزهاق الأرواح أو إلحاق ضرر فادح بالأجسام يرى المجمع جواز رمي الجمرات فـــي كل الأوقات مع وجوب مراعاة ترتيب أعمال الحج ." [117] .وأعتقد في صحة هذه الفتوى وأنضـــم

---

[117] - القرار رقم (2) 13 / 21 ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي/ السودان ، العدد الأول ، 1422 هـــ ، 2001 م ، ص314

إلى رأي علماء السودان للصعوبة العملية التي يواجهها الحاج ولأن الـــدين يســـر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه .

ولقوله تعالى : [لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَـــبَتْ.] البقرة ، من الآية 286.هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد شهد الواجب مـــن الكفـــارة فيها خلافا كبيرا : يقول مالك إن من ترك رمي الجمار كلها أو بعضها أو واحـــدة منها فعليه دم. ويقول أبو حنيفة إن من تركها كلها فعليه دم.

وإن من ترك جمرة واحدة فصاعدا كان عليه لكل جمرة سنان مســـكين : نصـــف صاع حنطة إلى أن يبلغ دما بترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم.

ويقول الشافعي إن عليه في الحصاة مد من طعام وفي حصايتين مدان وفي ثلاثة دم.[118]

يكبر الحاج عند رمي كل حصاة ويقول : " لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه ، لـــه الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو علـــى كل شئ قدير. لا إله إلا الله ، ولا نعبـــد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . لا إله إلا الله وحده ، صدق وعـــده ونصر عبده وهـــزم الأحزاب وحده . لا إله إلا الله والله أكبر."

ونلاحظ أن عدد الحصا في قمته سبعون وفي قاعدته تسعة وأربعون .

المبيت بمنى أيام التشريق

وأيام التشريق هي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة. يقول تعالى : (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثـــم عليـــه). ويـــرى الفقهاء أن التأخير أفضل ، وعلى من تعجل أن يخرج من منى قبـــل الغـــروب وإلا وجب عليه التأخير . والمبيت بمنـــى أيام التشريق واجب عنـــد الجمهـــور عـــدا الحنفية.

---

[118] - ابن رشد ، مرجع سابق ، ج1 ، ص258

يقول الجزيري في ذلك : " ويشترط فيه أن يكون معظم الليل من ليالي أيام التشريق الثلاثة لمن لم يتعجل." [119].

الوقوف بمزدلفة

هناك فرق بين الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ، فالوقوف بها واجب اتفاقا.
أما المبيت بها ففيه خلاف :
فهو ركن عند ابن بنت الشافعي وابن خزيمة [120] وهو قول علقمة والنخعي والطحاوي . [121]وقول الأسود [122] وكذلك قول علقمة والشعبي ، ، والحسن البصري وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وقد ذهب ابن المنذر لترجيحه. [123]وهو سنة عند الحنفية والمالكية لا يلزم بتركه شئ. وواجب عند الحنابلة فمن تركه فعليه دم.
والحنابلة يرون ضرورة البقاء بها إلى ما بعد منتصف الليل في حين أن الشافعية يشترطون الحصول على لحظة بعد منتصف الليل.
وعند المالكية يكون المبيت بقدر حط الرحال وصلاة العشائين. والراجح عندي أن المبيت بمزدلفة واجب يلزم من تركه دم كما يرى الحنابلة ، ولكن يتحقق هذا المبيت بقدر حط الرحال وصلاة العشائين كما يرى المالكية.

التلبية

وصيغتها كما هو معروف : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .) ومن المعروف الصحابي الجليل سعيد بن

---

119 - عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ، مرجع سابق ، ....

120 - ابن حجر العسقلاني ، تلخيص الحبير ، ج2 ، ص257

121 - الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج5 ، ص121

122 - النووي ، مرجع سابق ، ج8 ، ص188

123 - عمدة القاري ، مرجع سابق ، ج10 ، ص17

جبير رضي الله عنه كان يوقظ الحاج النائم ليلبّي ويقول : سـمعت ابـن عبـاس رضي الله عنه يقول : (هي زينة الحج) رواه سعيد بن منصور .

والتلبية تكون برفع الصوت للرجال دون النساء فابن عباس رضي الله عنه يقول : (كنا نصرخ بها صراخا.) رواه مسلم

ومن فضائل التلبية أن الرسول (ﷺ) يقول : (ما من مسلم يلبّي إلا لبّى من يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا.)

سنن الحج

من المعروف أن يترك ركنا من أركان الحج فلا حج له ، ومن يترك واجبا من واجبات الحج فإن حجه صحيح ويجبر بدم ، أما من يترك سنة من السنن والمستحبات فلا شيء عليه ولو فعلها كسب الأجر.

هذه السنن والمستحبات نذكر منها الآتي :

- أن يحرم الرجل في إزار ورداء أبيضين، زأن تحرم المرأة في أي لون رأت إلا أنه من الأفضل لها ألا تحرم في الثوب الأبيض
- أن يغتسل الرجل لإحرامه ولدخول مكة وليوم عرفة وكذلك المرأة ولو كانت حائضا أو نفساء.
- أن يكون الإحرام عقب صلاة مكتوبة ، أو عقب ركعتين.

استلام الحَجَر الأسود والركن اليماني إن كان ذلك ممكنا وإلا ففتتم اللإشارة إليهما.

- قول بسم الله والله أكبر عند بداية كل شوط الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود بقولـــه : (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)
- الاشتراط والثج والعج.
- الإكثار من الصدقة وتلاوة القرآن وقول لا إله إلا الله يوم عرفة التضلع من ماء زمزم.
- التقاط الجمار لجمرة العقبة فقط من مزدلفة.

صفة الحج

يخرج الحاج من مسكنه بعد أن قلم أظافره وقص الشارب وحلق العانة ونتف الإبط ثم اغتسل وتطيب ولبس الإحرام ، وعند وصوله الميقات يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم ينوي النسك الذي يريده .

إن كان مفردا قال : لبيك اللهم حجا.

وإن كان متمتعا قال : لبيك اللهم عمرة.

وإن كان قارنا قال : لبيك اللهم حجا وعمرة.

ثم يشترط ويرفع صوته بالتلبية ويتجه إلى مكة المكرمة فيدخلها من أعلاها ، وإذا وصل المسجد الحرام دخله من باب بني شيبة : باب السلام وقال : "بسم الله وبالله وإلى الله ، اللهم افتح لي أبواب فضلك." أو يقول : " أعوذ بالله العظيم ، ووجهـــه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، اللهم افتح لي أبواب رحمتك."

وعند رؤيته للبيت يدعو الحاج بما يشاء لأن هذه اللحظة من لحظـات الاسـتجابة ويقول : " اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحيينا يا ربنا بالسلام. اللهم زد هـذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمـه ممـن حجـه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا ، والحمد لله رب العالمين كثيرا كما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله والحمد لله الـذي بلغنـي بيتـه ورآني لذلك أهلا ، والحمد لله على كل حال .

اللهم إنك دعوت إلى حج بيتك الحرام وقد جئتك لذلك ، اللهم تقبل منـي واعف عني ، وأصلح من شأني كله ، لا إله إلا أنت." ويبدأ الطواف مضطبعـا [124] بادئا بالحجر الأسـود مقبلا – إن تمكن من ذلك - أو مشيرا إليه قائلا : " بسـم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيـك محمد (ﷺ)".

وأثناء الأشواط السبعة يدعو الحاج بما شاء ويصلي على النبـي (ﷺ) علـى أن يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى [125] ويمشي في الأربعة الأخيرة.

جاء في الصحيحين عن ابن عمر قال : (رأيت رسول الله (ﷺ) إذا طاف في الحج أو العمرة أول مايَقدم فإنه يسعى ثلاثة أطواف بالبيت ويمشي أربعة.)

بعد الانتهاء من الطواف يقصد الحاج الملتزم فيدعو ما شـاء لـه أن يـدعو لأن الدعاء مستجاب في هذا المكان ، ثم يصلي ركعتـين فـي مقـام إبـراهيم عليـه السلام.[126]

---

124 - الاضطباع هو أن يكشف الحاج كتفه الأيمن جاعلاً وسط ردائه تحت الإبط الأيمن وطرفيه على الكتـف الأيسر ، ولا يكون إلا في طواف العمرة وطواف القدوم وللرجال فقط.

125 - الرمل هو الإسراع في المشي مع تقارب الخطا في الأشواط الثلاثة الأولى ويسن أيضاً في طـواف العمـرة وطواف القدوم وللرجال فقط . ولا يصح الرمل في طواف الزيارة باجماع.

126 - من آيات الله الباهرة ظهور أثر قدمي إبراهيم عليه السلام في الحجر. ومن الآيات الله الباهرة أيضاً أن المقام كان يتطاول عند البناء ويقصر عند استلام الحجارة من إسماعيل عليه السلام .

بعد ذلك يخرج إلى ماء زمزم فيشرب في مصـــاحبة الـــدعاء المـــأثور : " اللهـــم إنـــــــي أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء."

ثم يأتي للمسعي فيبدأ بالصفا وينتهي بالمروة ليكمل الأشواط السبعة ويتلو الآيـــة الكريمة عند وصوله جبل الصفا : [إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَـــنْ حَـــجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرا فَإِنَّ اللَّهَ شَـــاكِرٌ عَلِيمٌ.] البقرة 158

وعند صعوده جبل الصفا وقد شاهد الكعبة يبدأ بالبسملة ويقول : " الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمـــد يحيـــي ويميت وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبـــده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون."

بعد الانتهاء من الأشواط السبعة يقصر الحاج ويتحلل من إحرامه إن كان متمتعـــا. أما إن كان مفردا أو"قارنا وقد ساق الهدي "وجب عليه أن يبقى علـــى إحرامـــه حتى يرمي جمرة العقبة يوم النحر.

يخرج الحاج في اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية إلى منى ملبيا بعـــد أن يحرم بالحج حيث يصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم يبيـــت فيهـــا ليصلي الفجر وتكون الصلاة قصرا لا جمعا.

كثرت الأقوال في سبب تسمية هذا اليوم بيوم التروية فقيل إن عرفة لم يكن بهـــا ماء فكانوا يتروّون من الماء إليها.[127]

وقيل لأن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية الأمر بذبح ابنه فأصبح يتروّى هل هو من الله أم هي الأحلام ؟ [128]

ومن الآيات الله الباهرة أيضاً أن المقام طال حتى كان كأطول جبل عندما قام عليه الخليل عليه السلام مؤذناً بالحج .

127 - المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ج2 ، ص477

128 - ابن مفلح ، الفروع ، ج3 ، ص81

وعند طلوع شمس يوم التاسع من ذي الحجة يتحرك الحاج في سكينة ووقار إلى عرفات ملبيا ومكبرا فينزل بمسجد نمرة ما أمكن ليصلي بها الظهر والعصر جمع تقديم قصرا ، بآذان واحد وإقامتين .

هذا المسجد هو المسجد الذي نزل فيه الرسول (ﷺ) وصنعت له خيمة من شعر جلس تحتها.[129]

ثم يتحرك الحاج إلى عرفة – عند الصخرات أسفل جبل الرحمة – وهو موقف رسول الله (ﷺ) إلا أن عرفات كلها موقف لقوله (ﷺ) : (وقفت هنا وعرفات كلها موقف.) رواه مسلم.

ويبقى بها حتى مغيب الشمس ملبيا مهللا مكبرا رافعا يديه بالدعاء حيث إن الأفضل هو أن يجمع الحاج بين الليل والنهار في عرفة.

وبعد غروب شمس التاسع يتحرك الحاج إلى مزدلفة بنفس تلك السكينة وذلك الوقار ملبيا حيث يصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير قصرا ويبيت فيها ليصلي الفجر إن أمكنه ذلك.

ثم يتوجه للمشعر الحرام للدعاء ، فإن لم يتيسر له ذلك دعا في أي موقع ، فالمزدلفة كلها موقف لقوله (ﷺ) : (وقفت هاهنا وجمع كلها موقف.) رواه مسلم .

ينتظر الحاج بالمزدلفة حتى يسفر الصبح ، وقبل طلوع شمس اليوم العاشر من ذي الحجة يتحرك الحاج إلى منى ملبيا بعد أن يأخذ معه سبع حصايات استعدادا لرمي جمرة العقبة الكبرى على أن يسرع الخطا عند وصوله وادي المحسر.

هذا الوادي هو الفاصل بين مزدلفة ومنى ويسمى أيضا وادي النار. هذا وقد تعددت الأقوال في سبب الإسراع فيه فمن قال إن فيل أبره حسر فيه ، ومن قال إن رجلا اصطاد فيه فنزلت نار أحرقته ، ومن قال إن الإسراع فيه لمخالفة النصارى الذين كانوا يقفون فيه. الموطأ رواية محمد بن الحسن .

---

[129] - د. محمد مصطفى محمد صالح ، مرجع سابق ، ص24

عند الوصول إلى منى - وفي صبيحة يوم العيد - يبدأ الحاج برمي جمرة العقبة الكبرى مكبرا قائلا : "اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا."

ثم يحلق أو يقصر والحلق أفضل للرجال .

يتحلل الحاج بعد ذلك التحلل الأصغر وينزع الإحرام وتحل له كل محظوارت الإحرام سوى النساء لقوله (ﷺ) : (إذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب والثياب وكل شئ إلا النساء.) [130]

يتحرك الحاج بعد ذلك إلى مكة المكرمة ليطوف طواف الإفاضة سبعة أشواط ، وهو الطواف الركن.

ثم يصلي ركعتين في مقام إبراهيم عليه السلام ويتجه ليتضلع من ماء زمزم ، والتضلع هو الامتلاء ريا وشبعا.

ويسعى الحاج بعد ذلك إن كان متمتعا ، أما إذا كان قارنا أو مفردا وقد سعى بعد طواف القدوم فليس عليه سعي.

وعندها يتحلل الحاج التحلل الأكبر فتحل له جميع محظورات الإحرام حتى النساء.

ومن المعروف أن أعمال يوم النحر هي : رمي جمرة العقبة الكبرى ، والنحر للمتمتع والقارن ، والحلق أو التقصير ، وطواف الإفاضة ، والسعى للمتمتع ، وأن التقديم والتأخير فيها جائز لقوله (ﷺ) : (إفعل ولا حرج) .

ومن المعروف أيضا أن أفضل أعمال هذا اليوم هي النحر يقول (ﷺ) : (ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، إنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وأن الدم ليقع من الله تعالى بمكانة قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفسا .) رواه الترمذي

يعود الحاج مرة أخرى إلى منى ليبيت بها وليرمي الجمرات الثلاثة ، مبتدئا بالأولى ثم الوسطى ثم جمرة العقبة وذلك في أيام التشريق الثلاثة – وإن تعجّل في يومين فلا حرج ، على أن يخرج من منى قبل غروب شمس اليوم الثاني.

---

[130] - ابن ضويان منار السبيل في شرح الدليل ، ج1 ، ص176

يذبح الحاج خلال أيام التشريق الثلاثة إن كان عليه هدي لحديث الرسـول (ﷺ) : (كل أيام التشريق ذبح.) رواه الإمام أحمد ويكون ذبحه في أي مكان من منى لقوله (ﷺ) : (ذبحت ها هنا ومنى كلها منحر .) رواه مسلم.

بعد ذلك يتوجه الحاج إلى مكة المكرمة مرة أخرى ليطوف طواف الوداع سبعة أشواط لحديثه (ﷺ) : (لا ينفرنّ أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت.) رواه مسلم.

ويصلي بعده ركعتين خلف المقام ليكون قد أكمل أعمال الحج على أتم وجه ليعود إلى أهله سالما غانما قائلا : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون حامدون ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ."

وهكذا تنطوي صفحة ناصعة بيضاء من عمر الحاج بأداء هذه الشعيرة الهامة ، فهنيئا له.

أحكام العمرة

العمرة لغة الزيارة ، وفي الاصطلاح هي زيارة الكعبة المشرفة بعد الإحرام للطواف والسعي ثم الحلق أو التقصير.

اختلف العلماء حول وجوب العمرة فرأى الشافعية والحنابلة أنها فرض لقوله تعالى :

[وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ.] البقرة ، من الآية 196 ولحديث عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله : هل على النساء جهاد ؟ قال : (نعم عليهن جهاد لا قتال فيه ، الحج والعمرة.) رواه أحمد وابن ماجة.

ورأى المالكية والحنفية أنها سنة مؤكدة لقوله (ﷺ) : (الحج مكتوب والعمرة تطوّع.) رواه ابن ماجة.

وروي عن عبد الله بن مسعود وإبراهيم النخعي والشعبي رضي الله عنهم أنها تطوع.

وقالت عائشة وابن عباس وابن عمر والحسن وابن سيرين رضي الله عنهم إنهـا واجبة .[131]

يقول الشيخ العثيمين : " والراجح عندي أنها واجبة علـى المكـي وغيـره لكـن وجوبها أصغر من وجوب الحج." [132]

ومهما يكن من أمر فالعمرة ذكرت باعتبارها تطوع لقول الرسول (ﷺ) : (الحـج جهاد والعمرة تطوع.) رواه ابن ماجة

وذكرت كفريضة واجبـة لقـول الرسـول (ﷺ) : (الحـج والعمـرة فريضـتان واجبتان.) [133]وذكرت باعتبارهـا الحج الأصغر لقـول الرسول (ﷺ) : (العمرة هي الحج الأصغر.) صحيح ابن حبان

ومهما يكن من أمر فالسعيد هو الذي تتهيأ له الفرصة ليؤدي هذه الشعيرة الهامة .

ومن المعروف أن شروط العمرة كشروط الحج تماما : الإسلام والبلوغ ، والعقل ، والاستطاعة. وأركانها ثلاثة عند المالكية والحنابلة :

الإحرام ، الطواف ، والسعي.

وقد زاد الشافعية ركنين آخرين هما : إزالة الشعر والترتيب بين هذه الأركان ، في حين اعتبر لهـا الحنفية ركنا واحدأ هو معظم الطواف.[134]

أما واجباتها فاثنان فقط : الإحرام من الميقات ، والحلق أو التقصير.

والعمرة تعتبر من أفضل الأعمال كالحج : يقول (ﷺ) في ذلك : (تـابعوا الحـج والعمرة فإنهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكيـر خبـث الحديـد والـذهب والفضة.) أخرجه الترمذي والنسائي.

---

131 - الجصاص ، مرجع سابق ، ج1 ، ص362

132 - محمد بن صالح العثيمين ، فقه العبادات ، ص219

133 - الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، ج1 ، ص186

134 - عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة ، مرجع سابق ، ج1 ، ص1067

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (العمرة إلى العمـــرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.) متفق عليه.

ويقول أيضا : (الحجاج والعمار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن اســـتغفروه غفــر لهم.) رواه النسائي وابن ماجة.

ويقول (ﷺ) : (وفد الله ثلاثة : الحاج والمعتمر والغازي.) رواه ابن حبان.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال : (عمرة في رمضـــان تعــدل عمرة أو حجة معي.) متفق عليه.

رسول الله (ﷺ)
حاجّـــا ومعتمرا

قام الخلاف حول عدد حجج وعمر الرسول (ﷺ) قبل النبوة وبعدها وقبل الهجرة .

يقول ابن حزم : "حج رسول الله (ﷺ) واعتمر قبل النبوة وبعدها وقبل الهجـــرة حججا وعمرا لا يعرف عددها." [(135)]

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : حج رسول الله (ﷺ) ثلاث حجـــج : حجتان قبل أن يهاجر ، وحجة بعدما هاجر معها عمرة." أخرجه الترمذي.

أما بعد الهجرة فهناك اتفاق أن رسول الله (ﷺ) حج حجة واحـــدة هـــي حجـــة الوداع ، ويطلق عليها حجة الإسلام أو حجة التمام . واعتمر (ﷺ) مرات أربعـــة : عمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، وعمرة الحديبية ، والعمرة التي قرنها (ﷺ) مع حجة الوداع.

يقول الإمام ابن حزم الظاهري : " ولم يحج عليه السلام بعد أن هاجر إلى المدينة إلا حجة واحدة وهي حجة الوداع سنة عشر ، واعتمر بعد أن هاجر إلى المدينـــة أربع عمر : عمرتان مفردتان قصد بهما في ذي القعدة وأتمهما ، إحداهما عمـــرة القضاء سنه سبع ، والأخرى عمرته من الجعرانة عام ثمان إثر وقعة حنين فـــي ذي القعدة أيضا ، واعتمر عمرة ثالثة قرنها مع حجة الوداع ، والرابعة عمرتـــه التي صده عنها المشركون سنة ست في ذي القعدة عام الحديبية." [(136)]

وعن أنس رضي الله عنـــه أنه سئل كم اعتمر رسول الله (ﷺ) ؟ قال : أربعـــا : عمرة الحديبية في ذي القعدة حيث صده المشركون ، وعمـــرة من العام المقبـــل

---

[135] - الشيخ عبد الله بن الشيخ ، مختصر سيرة الرسول (ﷺ) ، ص صفر رجب جمادى أول

[136] - المرجع السابق ، ص572

من ذي القعدة حيث صالحهم : عمرة القضاء ، وعمرة بالجعرانة إذ قسم غنيمـــة حنين ،

وعمرة مع حجته . رواه البخاري.

تكرار العمـــــرة
في العام الواحد

أما عن تكرار العمرة في العام الواحد فهناك خلاف : فبينما يرى الجمهور جـــواز تكرارها يخالف الإمام مالك وابن سيرين رضي الله عنهما فيكرهان ذلك.

يقول الإمام النووي ملخصا : " ولا يكره تكرار العمرة في السنة بل يستحب عندنا وعند الجمهور ، وكره تكرارها فـــــي السنة ابن سيرين ومالك." (137) ويعتمـــد الذين أجازوا على جملة أدلة : فصاحب سبل السلام يقدم دليل الجواز الأول فيقول : " وفي قوله : العمرة إلى العمرة دليل على تكرار العمرة وأنه لا كراهة في ذلك ولا تحديد لوقت." (138) ويؤيده في ذلك د. عبد الحي يوسف فيقول مقدما الـــدليل الثاني : " لكن يستحب للمؤمن الفطن أن يكثر من العمرة كلما وجد إلى ذلك سبيلا لقول النبي (ﷺ) :(تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد.) وما ينبغي لــــه الإعراض عن هذا الخير والزهد فيه." (139) ويقدم صاحب المجموع الدليل الثالث فيقــول : " قـــال الشـــافعي : وكانـــت عمرتها – ويقصد عائشة رضي الله عنها – في ذي الحجة ، ثم أعمرها العمـــرة الأخرى في ذي الحجة فكان لها عمرتان في ذي الحجة." (140) ونفس الدليل أورده الإمام البيهقي في سننه ، يقول : " قال الشافعي رحمه الله : وكانت عمرتها فـــي

---

137 - النووي ، مرجع سابق ، ج8 ، ص87

138 - محمد بن إسماعيل الصنعاني ، سبل السلام ، ج2 ، ص178

139 - د. عبد الحي يوسف ، فتاوى الحج والعمرة والزيارة ، ص18

140 - محي الدين بن شرف ، مرجع سابق ، ج7 ، ص116

ذي الحجة ، ثم سألته أن يعمرها فأعمرها في ذي الحجة كانت هذه عمرتان في شهر ."

وبالرجوع للخبر في مصدره يقول الإمام الشافعي في كتابه الأم : " وكانت عمرتها في ذي الحجة ، ثم سألته أن يعمرها فأعمرها في ذي الحجة فكانت هذه عمرتين في شهر فكيف ينكر أحد أمر النبي (ﷺ) بعمرتين في شهر بزعم ألا تكون في السنة إلا مرة ." [141] ويقدم مطرف صاحب مالك الدليل الرابع فيقول : " لا بأس بالعمرة في السنة مرارا . "

وينضم إليه ابن الموّاز وهو أيضا من أصحاب مالك مقدما الدليل الخامس قائلا : " أرجو ألا يكون بها بأس وقد اعتمرت عائشة مرتين في شهر ، ولا أرى أن يمنع أحد من التقرب إلى الله بشيء من الطاعات ولا من الازدياد من الخير في موضع لم يأت بالمنع منه نص وهذا قول الجمهور ." [142]

ويفصّل صاحب مواهب الجليل فيقول : " قال ابن حبيب : لا بأس بها في كل شهر مرة . وقال أبو الحسن وغيره : فرّطت عائشة رضي الله عنها في العمرة سبع سنين ثم قضتها في عام واحد.

وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان يعتمر في السنة مرارا .

وكان أنس رضي الله عنه إذا حمم رأسه خرج فاعتمر.

أما الذين كرهوا التكرار مثل الإمام مالك فيقولون إن الرسول (ﷺ) لم يكررها مع قدرته على ذلك. [143].

ويقول الإمام السيوطي : " وألف المحب الطبري كتابا قال فيه : ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة ورأوا الاشتغال بها أفضل من الطواف وذلك خطأ

---

[141] - الشافعي ، الأم ، ج2 ، ص193

[142] - ابن القيم ، زاد المعاد ، ج2 ، ص92

[143] - محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله ، مرجع سابق ، ج2 ، ص467

ظاهر. وأدل دليل على خطئه مخالفة السلف الصالح فإنه لم ينقل تكرار العمرة عن النبي (ﷺ) ولا عن الصحابة والتابعين." (144)

وأميل لتأييد أصحاب الاتجاه الأول الذين يجيزون تكرار العمرة لقوة الأدلة المقدمة ، ولما رواه السيد سابق من أن أهل الجاهلية كانوا يرون العمرة في أشهر الحج أفجر الفجور ويقولون : إذا انفسخ صفر ، وبرأ الدبر ، وعفا الأثر ، حلت العمرة لمن اعتمر.

فلما جاء الإسلام أمر الناس أن يعتمروا في أشهر الحج فدخلت العمرة في أشهر الحج إلى يوم القيامة." (145)

آداب الزيارة

لقد كثرت الأماكن التي يتوجه الحجاج لزيارتها بالمدينة المنورة إلا أن الشيخ العثيمين يرى أن المواقع التي يتوجب على الحاج زيارتها خمسة فقط : مسجد الرسول (ﷺ) ، قبر الرسول (ﷺ) ، البقيع ، قبور شهداء أحد ، ومسجد قباء ،

وما سوى ذلك فالزيارة إليها بدعة.(146) ويتفق معه الأستاذ محمد إبراهيم شقرة.(147)

وأرى مع عظيم احترامي لرأي الشيخين الجليلين أن الزيارة للمواقع المختلفة الأخرى بالمدينة تكون على الاستحباب ولا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبارها من البدع ، فالزائر لأي مواقع في المدينة المنورة يستشعر جلال تلك البقعة الطيبة المباركة وينشرح قلبه بمحبتها وبمحبة أهلها ولذلك أعتقد أن من الأفضل زيارة كل

144 - عبد الرحمن أبو بكر السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج1 ، ص412

145 - السيد سابق ، مرجع سابق ، ج1 ، ص514

146 - محمد بن صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص329

147 - محمد إبراهيم شقرة ، مرجع سابق ، ص97

ذرة من ذرات هذا البلد الطيب الشريف . وبهذا الفهـم لا يمكن بـالطبع اعتبـار الزيارة بدعة.

فضل المدينة وأهلها

المدينة هذه البقعة الطاهرة الطيبة هي حرم رسول الله (ﷺ).وفي ذلك يقول (ﷺ) :

(إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة.) رواه مسلم.

وقد أشار الرسول الكريم (ﷺ) إلى فضل هذه البقعـة المباركـة فقـال : (المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ولا يختلـى خلاهـا ولا ينفّر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها ولا يصلح لرجل أن يحمـل فيهـا السلاح لقتال ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره.) رواه الإمـام أحمد.

وقد وصفها (ﷺ) بأنها القرية التي تأكل القـرى : يقـول (ﷺ) : (أمـرت بقرية تأكل القرى يقولون لها يثرب وهي المدينة.) متفق عليه.

والمدينة هـي البقعة التي دعا لها (ﷺ) بالبركة فقال : (اللهم بارك لنـا فـي ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مـدنا.) رواه مسلم.

وهي تلك البقعة الطاهرة التي لا يدخلها الطاعون ولا الدجال ، يقــول (ﷺ) فــي ذلك : (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال.) متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها.) رواه البخاري.

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام.) رواه الطبراني.

ثم أشار (ﷺ) إلى فضل أهلها فقال : (اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم ومدّهم.) رواه البخاري.

وأخيرا فإننا لا نستطيع أن نحصي فضائل مدينة الرسول (ﷺ) ولا فضائل أهلهــا فالرسول (ﷺ) يقول : (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلــم فــلا يوجد أعلم من من عالم المدينة .) [148]

هذا وقد رصد تاريخها الإمام السمهودي في كتابه : خلاصة الوفا حيث قيل :

من رام يستقصي معالم طيبة ويشاهد المعدوم كالموجود
فعليه باستقصاء تاريخ الوفاء تأليف عالم طيبة السمهودي

الرسول الأكرم
صلى الله عليه وسلم

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كــلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بــن كنانـــة بــن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .[149]

---

148 - الفسوي ، المعرفة والتاريخ ، ج1 ، ص 61

وهو المصطفى المعصوم ، أبو القاسم ، سيد ولد آدم ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وهو المبعوث رحمة للعالمين والرحمة المهداة ، وفي ذلك يقول تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةَ لِلْعَالَمِينَ.] الأنبياء ، من الآية 107. ويقول (ﷺ) :

(إنما أنا رحمة مهداة) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه

وكانت له خمسة أسماء فيما روى الإمام البخاري أنه (ﷺ) قال : (لي خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب.)

وقد غلب عليه اسم محمد (ﷺ) حيث ورد في القرآن في أربعة مواضع.

يقول تعالى : [وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ .] آل عمران 144

ويقول تعالى : [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيما .] الأحزاب 40

ويقول تعالى : [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نزلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ .] محمد 2

ويقول تعالى : [محَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعا سُجَّدا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةَ وَأَجْرا عَظِيما .] [150]

---

[149] - الماوردي ، أعلام النبوة ، ج1 ، ص233

[150] - من معجزات القرآن الكريم التي أثبتتها هذه الآية أنها الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي رصدت حروف اللغة العربية جميعا وبلا استثناء

وهو (ﷺ) قرشي القبيلة هاشمي الأسرة . ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلـــــــة خلت من ربيع الأول عام الفيل . وكانت القابلة التي لها شرف ولادته (ﷺ) هــي الشفاء بنت عمرو أم عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما . أمه آمنـــة بنــت وهب بن عبد مناف وأول مرضعاته (ﷺ) : ثويبة الأسلمية مولاة أبي لهب التـــي أعتقها حين بشرته بمولده (ﷺ) ، ثم تلتها حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية. توفت أمه وهـــــو ابن ست سنين فحضنته أم أيمن الحبشية مولاة والده عبد الله بــن عبد المطلب ، واسمها بركة بنت ثعلبة . تزوج (ﷺ) من خديجة بنــت خويلــد أم المؤمنين وهو ابن خمس وعشرين ، وتوفت عنـــه فتــزوج عــددا مــن أمهـــات المؤمنين : سودة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وأم ســلمة وزينــب بنــت جحــش وميمونة وجويرية وصفيـــــــة ومارية القبطية .

أبناؤه (ﷺ) ثلاثة وهم : القاسم وعبد الله مــن خديجـــة وإبـــراهيم مــن ماريـــة القبطيـــــة وقد توفوا جميعا صغارا قبل الإسلام . وبناته (ﷺ) أربعـــة وهـــن : زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم كلهن من زوجته خديجة وكلهن أسلمن وهاجرن . أعمامه (ﷺ) هم : الحارث وهو أكبرهم ، وحمزة وهو أصـــغرهم ، ثـــم الزبيـــر والعباس والمقوم والغيداق وأبو طالب وضرار وقثم وأبو لهـــب . وعماتـــه (ﷺ) ستة : عاتكة وأميمة وأروى والبيضاء وبرة وصفية . هـــاجر (ﷺ) مـــن مكـــة المكرمة إلى المدينة المنورة بعد أن أذن له في الهجرة . وصفه سبحانه وتعـــالى في القرآن الكريم بقوله : [وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ .] القلم 4 وكان خلقه القرآن كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها . وكان يقول عن نفسه : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) رواه الإمام أحمد

ارتبط اسمه (ﷺ) بلحق جل في علاه فكانت الشهادتان : (لا إلـــه إلا الله محمـــد رسول الله) وقد كان أشجع الناس وأكرمهم.

وكان أعلم الخلق بالله جل وعلا وأفصحهم نطقا وأنصـحهم لخلقـه ، وأحلمهـم وأطيبهم ريحا وأفضلهم عشرة وأخشعهم وأحسنهم خلقا وخلقا وألينهم كفا.[151]
وكان أشد الناس تواضعا وحياء إلا أنه كان أيضا أشد الناس بأسا في أمر الله.

حليم إذا ما الحلم زين أهله على أنه عند العدو مهيب

هو الرسول الكريم صاحب المعجزات التي تجاوزت الألف منها :

- **خاتم النبوة الذي بين كتفيه**
- **تظليل الغمام له إذا مشى في الصيف الحار**
- **تسبيح الحصى في يديه الطاهرتين**
- **إخباره بحدوث بعض الغيبيات التي يعرفها عن طريق الوحي .**

شرح الله صدره وفي ذلك نزل قوله تعالى : [ألم نشرح لك صدرك] الانشـراح1.
وهو (ﷺ) يقول في ذلك : (جاءني ملكان في صورة طائر معهما ماء وثلج فشرح أحدهما صدري وفتح الآخر بمنقاره فغسله .) [152]
رفعت روحه الطاهرة في يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول عام (11) هـ.
صلى الله عليك يا محمد يا رسول الله فقد بلغت الرسالة وأديت الأمانـة ونصـحت الأمة وكشفت الغمة وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنهـا إلا هالك .

زيارة المسجد النبوي الشريف

إن زيارة المسجد النبوي الشريف سنة لقوله (ﷺ) : (لا تشد الرحـال إلا إلـى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى.) متفق عليه.

---

151 - محمد بن أبي الفتح البعلي ، المطلع على أبواب الفقه ، ج1 ، ص420

152 - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج20 ، ص105

وعن فضل المسجد النبوي الشريف يقول أنس بن مالك رضـــــي الله عنــه أن النبي (ﷺ) قال : (من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب لــه براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق.)

ويضيف الإمام الهيثمي : " قلت روى الترمذي بعضه ورواه أحمد والطبراني فــي الأوسط ورجاله ثقات." [153] ويعلق الإمام الجزائري فيقــول : " قــال المنــذري رواته رواة الصحيح." [154] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلــى متاع غيره.) رواه أحمد وابن ماجة.

والصلاة في هذا المسجد خير من ألف صلاة فيما عدا الصلاة في المسجد الحرام.

يقول (ﷺ) : (صلاة في مسجدي خير من ألف صــلاة فيمــا ســواه إلا المســجد الحرام.) متفق عليه.

زيارة قبر الرسول (ﷺ)

داخل هذا المسجد النبوي الشريف يوجد قبر الرسول (ﷺ) وقبرا صاحبيه الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، ومعلوم أن هذه الزيارة مشروعة ، يقول تعالى :

[وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفســهم جــاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما.] النساء 64

وبزيارة قبره (ﷺ) تجب الشفاعة.

يقول (ﷺ) في ذلك : (من زار قبري وجبت له شفاعتي.) رواه الدارقطني عن ابن عمر ، ورواه البزار .

---

153 - الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج4 ، ص677

154 - أبو بكر جابر الجزائري ، مرجع سابق ، ص262

ويقول (ﷺ) : (من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي كان حقا عليّ أن أكون له شفيعا .) رواه الطبراني .

ويقول (ﷺ) : (من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي.) رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

ويقول (ﷺ) : (من صلى عند قبري وكل الله به ملكا يبلغني ، وكفي أمر دنياه وآخرته، وكنت له شفيعا يوم القيامة.) رواه البخاري.

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت

بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

يقف الحاج بكل أدب ووقار وإكبار أمام قبر الرسول (ﷺ) فيقول : " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وسلم وبارك وجزاك عن أمتك خير الجزاء." وصدق من قال :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم يخطو خطوة ليواجه قبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقول : " السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته ، جزاك الله عن أمة محمد خيرا.

ثم يخطو خطوة ليواجه قبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقول : " السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، جزاك الله عن أمة محمد خيرا."

وداخل المسجد النبوي الشريف توجد الروضة الشريفة وهي بين المنبر والقبر.

يقول (ﷺ) : (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي.) متفق عليه.

وداخل المسجد النبوي الشريف يوجد عدد من الأسطوانات المشهورة كل منها لــه فضل معين لوقوع حدث متعلق به في عهد النبي (ﷺ) منها : أسطوانة الأسطوانة المخلقة ، ومن أسمائها : المطيبة ، الحنانة ، والمصــحف. ومنهــا : أســطوانة السيدة عائشة رضي الله عنها ومن أسمائها : أسطوانة المهاجرين ، والقرعة.

ومنها : أسطوانة أبي لبابة أو التوبة وهي الأسطوانة التي ربط أبو لبابــة نفســه بهــــــــا إلى أن تاب الله عليه والقصة مشهورة. ومنها : أسطوانة الســرير ، ومنها : أسطوانة الحرس المعروفة أيضا بالمحرس أو أسطوانة علــي بــن أبــي طالب. ومنها أسطوانة الوفود.[155].

وكانت توجد بالمسجد النبوي الشريف ثلاثة أبواب على عهد الرسول (ﷺ) هي : باب الرحمة ، وباب جبريل ، والباب الجنوبي ، أما الآن فهناك أبواب أخرى كثيرة منها : باب النساء ، وباب السلام ، وباب الصديق ، وباب الروضــة المشــرفة ، وباب المقصورة النبوية ، وباب البقيع .[156]

زيارة بقيع الغرغد

بقيع الغرغد هي المقبرة الأساسية لأهل المدينة المنورة منذ عهد الرسول (ﷺ) .

وهي تلك البقعة المباركة التي رأى الرسول (ﷺ) فيها جبريل عليـــــه السلام في صورته الحقيقية ، والزيارة له سنة.

ومن المعروف أن مقبرة البقيع قد خططها الرسول (ﷺ) بأمر إلهــي. والتــاريخ يحكي أن أول من دفن بالبقيع من المهاجرين هو الصحابي عثمــان بــن مظعــون رضي الله عنه وأرضاه.

---

155 - د. خالد محمد حامد ، معالم المسجد النبوي الشريف ، ص82 وما بعدها.

156 - المرجع السابق ، ص116

وأن أول من دفن بهـــــــا من الأنصار هو الصحابي أسعد بــن زرارة رضــي الله عنه وأرضاه. وفضل البقيع عظيم لذلك نجد أن النبـــي (ﷺ) قـــال : (مـــن استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شــفيعا يــوم القيامة.) أخرجه الترمذي وابن ماجــة. ومن المعروف أن أول من يحشر مع رســول الله (ﷺ) يوم القيامة هم أهل البقيع.

يقول (ﷺ) : (أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم آتي أهل البقيــع فيحشــرون معي ، ثم آتي أهل مكة فأحشر بين الحرمين.) أخرجه الترمذي وابن حبان.

وفي البقيع دفن أكثر من عشرة آلاف صحابي. ومن القبور المعروفة بالبقيع قبر بنات الرسول (ﷺ) : زينب ورقيــــــة ، وأم كلثوم ، وفاطمة الزهراء رضــي الله عنهن. ومنها أيضا قبر العباس والحسن وزين العابدين بن الحسين ومحمــد الباقر ، وجعفر الصادق رضي الله عنهم.

وفيها قبور زوجات الرسول (ﷺ) جميعا عدا خديجة وميمونة رضي الله عنهن.

وقبر عمات الرسول (ﷺ) صفية وعاتكة رضي الله عنهما. وفيها قبــر الســيدة حليمة السعدية رضي الله عنها. وفيها قبر كل من : سيدنا عثمان ، الإمام مالك ، سعد ابن معاذ ، أبو سعيد الخدري ، عقيل ، عبد الله بن جعفر ، وأبــي ســفيان رضي الله عنهم.[157].

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وآله وسلم). رواه البخاري.

أبو الشهداء حمزة
وشهداء أحد رضي الله عنهم

---

157 - د. محمد مصطفى محمد صالح ، مرجع سابق ، ص47 وما بعدها .

تقع مقبرة شهداء أحد بين جبل الرماة وجبل أحد على بعد خمسة كيلو مترات شمال المسجد النبوي الشريف .

استشهد أسد الله وأسد رسوله وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ﷺ) وأخوه من الرضاعة مع بقية شهداء أحد في موقعة أحد [158] وعددهم سبعون ودفنوا بالقرب من جبل أحد شمال المدينة المنورة. [159] وجبل أحد هذا جبل يحبه الرسول (ﷺ) وعنه يقول : (هذا جبل يحبنا ونحبه.) رواه البخاري.

وعن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم أن النبي (ﷺ) صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان.) رواه البخاري.

وتوجد مقبرة شهداء أحد بالقرب من جبل عينين الواقع جنوب جبل أحد وهو الجبل الذي خالف فيه الرماة أمر الرسول (ﷺ) فتمت هزيمة المسلمين في غزوة أحد.

مسجد قباء

158- كانت هذه الموقعة في يوم السبت السابع من شوال في السنة الثالثة للهجرة الموافق الثالث والعشرين من مارس عام (625) للميلاد. تقدر جيش المسلمين بحوالي 700 مقاتل، بينما كانت جيوش الكفر تقدر بحوالي 3000 مقاتل.

159 - من هؤلاء الشهداء جعفر الطيار ، وغسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، وعمرو بن الجموح ، وخارجة بن زيد ، وسعد بن ربيع ، والنعمان بن مالك وعبدة بن الحسحاس ، ومصعب بن عمير .

هو أول مسجد بناه الرسول (ﷺ) في الإسلام. [160]يقع هذا المسجد فـــي جنــوب غربي المدينة المنورة ، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي خمس كيلومترات. شارك الرسول (ﷺ) في بنائه بيده الشريفة وحدد جبريل عليه السلام قبلته.

يقصد الحجاج الصلاة فـــي هذا المسجد لقول الرسول (ﷺ) : (من تطهر في بيته وأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كأجر عمرة.) رواه أحمد والنسائي. فيه بئر تنسب لأبي أيوب الأنصاري، وكان فيه مبرك الناقة.

هذا وقد ورد أن الرسول (ﷺ) كان يزوره يوم السبت ويركب له ، وصارت تلــك عادة أهل المدينة حيث يذهبون إليه في هذا اليوم للصلاة فيه، حتى يومنـــا هــذا ويقال إنه المسجد الذي نزلت فيه الآية الكريمة : {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ}) التوبة 108

وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله (ﷺ) سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : (هو مسجدي هذا).

مسجد القبلتين

يقع هذا المسجد على منطقة مرتفعة وعلى تقاطع طريق خالد بن الوليد مع شارع سلطانة ، قرب وادي العقيق . ويبعــد عــن المســجد النبــوي حــوالي خمســة كيلومترات. خضع هذا المسجد للتجديد والتعمير ومن الذين قاموا بذلك الخليفــة الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، والشــجاعي شــاهين الجمــالي ، والسلطان العثماني سليمان القانوني .

[160] - محمد ناصر الدين الألباني ، الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب ، ج1 ، ص569

هذا المسجد بناه بنو سواد بن غنم بن كعب في السنة الثانية للهجـرة النبويـة ، ومما يقال عنه أن الوحي نزل على الرسول (ﷺ) فيه. هذا المسجد يسمى أيضـا مسجد بني سلمة وهم من الأنصار الخزرج. سمي بهذا الاسم لأن الرسـول (ﷺ) صلى فيه بالمسلمين صلاة الظهر ، وكانت الركعتان الأوائل إلى بيت المقدس وأمر بالتحول وهو في الصلاة فصلى الركعتين الأخيرتين إلى مكة المكرمة.[161] ويقال إن الرسول (ﷺ) زار أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت لـه طعاما وحانت صلاة الظهر فصلى بأصحابه ركعتـين ثـم أمـر فاسـتداروا إلـى الكعبة.[162] وفي ذلك يقول تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَة تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُـوهَكُمْ شَـطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.) البقرة 144

---

[161] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج1 ، ص191

[162] - الزرقاني ، شرح الزرقاني ، ج1 ، ص560

المساجد السبعة

عدد هذه المساجد ستة إلا أن الناس يضيفون لها مسجد القبلتين القريب منها ولذلك اشتهرت بهذا الاسم . في ساحة هذه المساجد عسكر الرسول (ﷺ) أثناء غزوة الأحزاب وصلى في مسجد الفتح ودعا على الأحزاب فاستجاب الله لدعائه وشتت شمل الأحزاب.[163].

أقول أخيرا :

إن في زيارة المدينة المنورة متعة لا تعدلها متعة. وفي زيارة المسجد النبوي الشريف متعة لا تعدلها متعة. وفي زيارة قبر الرسول (ﷺ) متعة لا تعدلها متعة .

جاء في بدائع الفوائد لابن القيم : "قال ابن عقيل : سألني سائل : أيهما أفضل حجرة النبي (ﷺ) أم الكعبة ؟ فقلت : إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل ، وإن أردت وهو فيها فلا والله ولا العرش وحملته ولا جنة عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن بالحجرة جسدا لو وزن بالكونين لرجح." [164]

فكم لك يا رسول الله فضل تضيق الأرض عنه والسماء
وكم لك معجزات ظاهرات كضوء الشمس ليس له خفاء

صلى الله عليك وسلم يا رسول الله.

---

163 - محمد بن عبد الواحد السيواسي ، شرح فتح القدير ، ج3 ، ص183

164 - بدائع الفوائد ، ابن القيم ، ج3 ، ص655

الخاتمة

في ختام هذا الكتاب نسجل الملاحظات الآتية :

- إن الحج يعتبر أفضل أنواع الجهاد فليتعجل الحاج ما أمكن لينال هذا الفضل العظيم.
- إن على الحاج أولا أن يحج عن نفسه حجة الفريضة ثم بعد ذلك يمكنه أن يحج عن الغير.
- الأنساك ثلاثة وهي : الإفراد ، التمتع ، والقران. وقد أجمع العلماء على جواز كل منها إلا أن التمتع هو أفضل الأنساك عند الحنابلة ، والقران هو أفضل الأنساك عند الحنفية ، والإفراد هو أفضل الأنساك عند المالكية ، وللشافعية قولان : أحدهما إن الإفراد أفضل ، وثانيهما أن التمتع أفضل .
- يظن بعض الناس أن المفرد تتوجب عليه عمرة يؤديها بعد الفراغ من حجه ولا يقبل حجه إلا بها والصحيح أنها ليست واجبة عليه وهو بالخيار إن شاء أداها وإن شاء تركها.
- أركان الحج المتفق عليها عند الجمهور أربعة أركان هي : الإحرام ، طواف الإفاضة ، السعي بين الصفا والمروة ، والوقوف بعرفة. وقد أضاف الشافعية ركنين آخرين هما: إزالة الشعر وترتيب معظم الأركان . أما الحنفية فلم يعتمدوا من الأركان إلا الوقوف بعرفة ومعظم طواف الإفاضة.

اتفق العلماء على بعض واجبات الحج واختلفوا على البعض الآخر إلا اختلاف الأئمة كله خير ، إلا أن هناك واجبات عليها إجماع أو شبه إجماع وأن من يترك واجبا لزمه الدم .

- يرى كثير من العلماء أن رمي الجمار لا علاقة له بمقاومة الشيطان ونبذه ورجمه ، إلا أنه من الواضح أن تاريخ رمي الجمار يرتبط ارتباطا واضحا بهذه الفكرة.

- الراجح أن رمي الجمار الثلاثة يكون بعد الزوال وهذا محل اتفاق المذاهب الأربعة إلا أنه وبعد أن توسعت دائرة الحجاج وتزايدت أعدادهم وأصبح الرمي بعد الزوال يشكل صعوبة عملية أفتى علماء السودان في مجمع الفقه الإسلامي بالخرطوم بجواز رمي الجمرات في كل الأوقات أثناء ساعات اليوم والليلة اعتمادا على فقه الضرورة .
- اختلف العلماء حول حكم العمرة فرأى الشافعية والحنابلة أنها فرض ، ورأى المالكية والحنفية أنها سنة مؤكدة ، ورأى بعض الصحابة أنها تطوع .

وحول تكرار العمرة في العام الواحد جرى الخلاف فالجمهور يرى جواز تكرارها ويخالف الإمام مالك وابن سيرين فيكرهان ذلك.

- قيل إن رسول الله (ﷺ) حج قبل الهجرة حججا لا يعرف عددها ، وقيل حج حجتين فقط .

أما بعد الهجرة فهناك اتفاق أن رسول الله (ﷺ) حج حجة واحدة هي حجة الوداع ، واعتمر أربع مرات هي : عمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، وعمرة الحديبية ، والعمرة التي قرنها (ﷺ) مع حجة الوداع.

- قيل إن المواقع التي يتوجب على الحاج زيارتها بالمدينة المنورة خمسة فقط هي : مسجد الرسول (ﷺ) ، وقبره الشريف ، وبقيع الغرغد ، وقبور شهداء أحد ، ومسجد قباء وما سوى ذلك فالزيارة ما هي إلا بدعة ، إلا أنه من الأفضل زيارة كل ذرة من ذرّات المدينة المنورة فبالزيارة لها يستشعر الزائر جلال تلك البقعة الطيبة وينشرح قلبه بمحبتها وبمحبة أهلها.

ونقول للحاج والحاجة في الختام :

- يجب الإكثار من التنفل في الحرم وفي أي وقت – حتى في الأوقات التي يكره فيها التنفل ، فالرسول (ﷺ) يقول : (يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا يصلي بهذا البيت بليل أو نهار) رواه الداقطني
- يجب الإكثار من الصلاة على النبي (ﷺ) يقول تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما) الأحزاب 56

ذلك أن منزلة الصلاة على النبي ﷺ منزلة رفيعة ، وهي فرض على كل مسلم بالغ عاقل مرة واحدة في عمره ، وما عدا ذلك فهي سنة مستحبة . وفي فضلها جاءت أحاديث كثيرة يقول الرسول (ﷺ) : (من صلى عليَّ صلاة واحدة، صلى اللَّه عليه عشرا.) رواه مسلم

ويقول : (من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى اللَّه عليه عشر صلوات، وحُطت عنه عشر خطيئات، ورُفعت له عشر درجات.) رواه النسائي

ويقول : (إن للَّه ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام.) رواه النسائي

ويقول :(من صلى عليَّ حين يصبح عشرا وحين يُمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة.) رواه الطبراني

- يجب الإكثار من قراءة القرآن ، قال رسول الله (ﷺ) : (إن لله أهلين منا ، قالوا: يا رسول الله ، من هم ؟ قال: (هم أهل القرآن أهل الله وخاصته) أخرجه ابن ماجة.

ويقول (ﷺ) : (القرآن حجه لك أو عليك.) أخرجه مسلم.

ويقول (ﷺ) : (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا

يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشرة حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ، ولا ألفين أحدكم واضعا إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة فإن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله .)

ويقول (ﷺ) : (من أعطى ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة ومن أعطى ثلثي القرآن أعطى ثلثي النبوة ومن قرأ القرآن كله فقد أعطى النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه ويقال له يوم القيامة اقرأ وارق فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز ما معه من القرآن ثم يقال له اقبض فيقبض ثم يقال له اتدري ما في يديك فإذا فـــــي يده اليمنى الخلد وفي اليسرى النعين ".

ويقول علي رضى الله عنه إن رسول الله (ﷺ) قال : (من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كل قد وجبت له النار .)

ويقول (ﷺ) : (أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نطرا.)

ويقول : (إن هذا القرآن هو حبل الله).

اغتتنم أيها الحاج هذه الفرصة النادرة واختم الفرآن ولو مرة واحدة لأنها تعدل مائة ألف ختمة .

- يجب الإكثار من الدعاء في الحج فالدعاء من أعظم العبادات.

يقول تعالى : [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ .] البقرة 186

ويقول تعالى : [قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْـرِ تَدْعُونَـهُ تَضَـرُّعا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِـنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ .] الأنعام 63 ، 64

ويقول تعالى : [ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .] الأعـراف 55

ويقول تعالى :

[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ.] غافر 60

ويقول تعالى : [قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا .] الإسراء 110

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال :

(ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء.) أخرجه الترمذي وابن ماجة وابن حيان.

وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال :

(إن الدعاء هو العبادة.) أخرجه أصحاب السنن.

ويقول (ﷺ) :

(ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث :

- إما أن تعجل له دعوته.
- وإما أن يدخرها له في الآخرة.
- وإما أن يصرف عنه من السوء. قالوا إذن نكثر قال الله أكثر.) رواه أحمد والترمذي.

اغتنموا الفرصة أيها الحجاج وأكثروا من الدعاء في مواطن الاستجابة : عند رؤية الكعبة لأول مرة وفي جوفها ، وعند الملتزم بعد طواف الوداع ، وتحت الميزاب ، وعند الركن اليماني ، وبين الركن والمقام ، وعلى الصفا ، وعلى المروة ، وعند المسعى ، وفي منى ، وفي عرفات ، وعند المشعر الحرام بعد الفجر بجمع ، وبعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى أيام التشريق .

جاء في الدر المنثور في التأويل بالمأثور:

"يستجاب الدعاء بمكة ... عند الملتزم ، وتحت الميزاب ، وعند الركن اليماني ، وعلى الصفا ، وعلى المروة ، وبين الصفا والمروة ، وبين الركن والمقام ، وفي جــوف الكعبة ، وبمنى ، وبجمع ، وبعرفات ، وعند الجمرات الثلاث .[165]

- **اختلفت المذاهب في مشروعيّة الاشتراط في الإحرام فمنهم من قال بمشروعيه ومنهم من لم يقل بذلك إلا أنه يستحب لك أيها الحاج الاشتراط عند تحديد نوع النسك الذي تريده**
- **أكثروا أيها الحجاج من الاستغفار فالرسول (ﷺ) يقول : (من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار.)** رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات

ويقول (ﷺ) : (ما من حافظتين يرفعان إلى الله في يوم فيرى تبارك وتعالى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال تبارك وتعالى قد غفرت لعبدي ما بــين طرفي الصحيفة .) رواه البزار

ويقول (ﷺ) : (اللهم أغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج.) أخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة.

- **أيها الحاج لا تنسى أن تصلي بعد الانتهاء من الطواف ركعتين في مقــام إبراهيم عليه السلام لحديث الرسول (ﷺ) : (من طــاف بالبيــت أســبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة.)** أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة.
- **أحرصوا أيها الحجاج علـــى الشرب والتضلّع من ماء زمزم [166] فهــو ماء مبارك ، وهو الماء الذي غسل به جبريل عليه الســلام صــدر الرســول (ﷺ) وجوفه ليلة الإسراء والمعراج.**[167]

---

165 - السيوطي ، الدر المنثور في التأويل بالمأثور ، ج1 ، ص234

166 - تبعد بئر زمزم ثمانية وثلاثين ذراعاً من الكعبة المشرفة ، وسميت زمزم لكثرة مائها ، وقيل لزمزمة جبريل عليه السلام وكلامه فيها ، وقيل لأن سابور الملك لما حج البيت أشرف عليها وزمزم فيها ، وقيل لضم هاجر أم إسماعيل عله السلام لمائها حين انفجرت.

وأورد صاحب كنز العمال قوله (ﷺ) : (من طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين وشرب ماء زمزم غفر الله له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت.) [168]

ويقول (ﷺ) : (ماء زمزم مبارك وأنها طعام طعم وشفاء سقم.) رواه مسلم.

ويقول (ﷺ) : (ماء زمزم لما شرب له ، إن شربته تستشفي شفاك الله ، وإن شربته لشبعك أشبعك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله ، وهي هزمة جبريل وسقيا الله إسماعيل.) رواه الدارقطني. وسميت هزمة جبريل لأن جبريل عليه السلام هزمها – أي كسرها - برجليه فخرج الماء.

- أحرصوا أيها الحجاج على الحلق بدلا عن التقصير وذلك بالنسبة للرجال .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : (رحم الله المحلقين) قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : (رحم الله المحلقين) قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : (رحم الله المحلقين) قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال (والمقصرين.) رواه مسلم

أما بالنسبة للنساء فإن الأولى هو التقصير لا الحلق لقوله (ﷺ) : (ليس على النساء الحلق إنما على النساء التقصير) رواه البيهقي وأبو داود وعن كيفية التقصير للنساء يقول عبد الله بن عمر والشافعي وأحمد وإسحاق رضي الله عنهم : تقصر من كل قرن مثل الأنملة .

ويقول عطاء رضي الله عنه : تقصر قدر ثلاث أصابع مقبوضة .

ويقول قتادة رضي الله عنه : تقصر الثلث أو الربع.

ويقول مالك رضي الله عنه : تأخذ من جميع قرون رأسها وما أخذت من ذلك فهو يكفيها. [169]

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص148

[167] - الطبري ، تفسير الطبري ، ج15 ، ص4

[168] - المتقي الهندي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص88

والراجح عندي هو أن تقصر من جميع قــرون شــعرها مقــدار الأنملــة ، والأنملة هي طرف الأصبع وجمعها أنامل ، يقول الشاعر :

أودّكما مـــــا بلّ حلقي ريقتي

وما حمّلت كفّاي أنملـــي العشرا

- اغتنم الفرصة أيها الحاج وصلّ أربعين صلاة بالمسجد النبوي الشــريف حتــى تكتب لك براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق .
- اغتنم الفرصة أيها الحاج وتطهر في بيتك واقصد مسجد قباء لتصلي فيه ركعتين على الأقل فإن أجر صلاتك فيه يعدل أجر عمرة.
- اعلم أيها الحاج وأيتها الحاجة أن حرم مكة كالمسجد الحرام في مضاعفة ثواب الصلاة بل وسائر أنواع الطاعات ، فقد قال الإمام الحسن البصري إن صوم يوم بمكة بمائة ألف ، وصدقة درهم بمائة ألف ، وكل حسنة بمائة ألف ، فــاغتنموا الفرصة.
- يجب أن يكون آخر عهدك أيها الحاج بالبيت هو طواف الوداع لحديث الرســول (ﷺ) الذي رواه مسلم : (لا ينفرنّ أحد حتى يكون آخــر عهــده بالبيــت.) ولا استثناء في ذلك إلا للمرأة الحائض فإنه يسقط عنها .

حاضت صفية بنت حيي أم المؤمنين بعد أن طافت طواف الإفاضة : تقول عائشة رضي الله عنها : فذكرت حيضتها للرســول (ﷺ) فقال :

(أحابستنا هي ؟) قلت : إنها كانت أفاضت وطافت بالبيت ثـــــم حاضت بعــد الإفاضة ، فقال (ﷺ) : (فلتنفر) رواه مسلم

وواضح من هذا الحديث أن الرسول (ﷺ) أسقط عنها طواف الوداع .

- أيها الحاج إنك غانم لا محالة : قال أبو نعيم : رأيت سفيان الثــوري وقــد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال : إلى بلد أملأ فيه جرابي بدرهم.[170]

---

[169] - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن مرجع سابق ، ج2 ، ص376

[170] - الإمام الغزالي ، مرجع سابق ، ص288

اللهم صل وسلم وبارك على نبيّك محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلـــى آلــه وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . واجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم ، اللهم إني وهبت أجر ثواب هذا العمل لوالديّ في أعالي الجنـــان فتقبلـــه منـــي خالصا لوجهه الكريم ، إنك سميع قريب مجيب الدعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التعقيب

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد

فقد رؤي أن أمعن النظر والفكر ، وأجيل بخواطري لأضرب بسهمٍ في خــواتيم هذا الجهد المبارك الذي أهريق مداد كلماته بلوغا إلى إبانــة شــعائر الحــج ، وتذكيرا بقوله تعالى : -

[يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] البقرة 185

ودون القارئ ما وقر في القلب من خواطر ثلاث :

الخاطرة الأولى : -

التيسير في وقت رمي الجمرات في أيا م التشريق:

من المسلّم أن رمي الجمرات بعد الزوال في أيام التشريق هو الأفضــل ، وفيــه التزام بالمأثور عن النبي (ﷺ) إذ روي عن جابر رضي الله عنه قال :

(رمى رسول الله (ﷺ) الجمرة - أي جمرة العقبة - يوم النحر ضحى ، وأما بعد فإذا زالت الشمس.)

أي أنه (ﷺ) رمى الجمرات الثلاث في أيام التشريق عند زوال الشــمس وهــذا الحديث صحيح رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب بيــان وقــت استجاب الرمي .

لا نماري في تلك الأفضلية ، وهو قول جمهور الفقهاء ، غير أن هنالك فرق بين الفرض وبين المباح ، فالحديث لم يرد بصيغة الأمر ، ولا تضــمّن النهــي عــن الرمي في غير وقت الزوال ، بل إن الإمام مسلم قد أورده فى باب بيــان وقــت استحباب الرمي .

يقول العلامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود : -

"فلو كان ما قبل الزوال وقت نهــــي غير قابل للرمي لحذّر منه النبي أمتــه ، إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه . "

راجع مجموعـــة رسائل الشيخ عبد الله بن زايد ، المجلد الأول ، ، الطبعة الثالثة (1992م) ص8

ثم يقول هذا العلامة مستنكرا :

" إذ استدل القائلون بالرمـــــي عند الزوال بمفهوم فعل النبي (ﷺ) فمــن أيــن لهم القول بانتهاء وقت الرمي بالغروب ؟"

ويسوق العلامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود لرأيه الذي يقتضـــي التيســـير حججا دامغة أُخرى فيقول :

" فإن التحديد بهذا الزمن القصير قد أفضى بالناس إلى الحرج والضـــيق حتـــى شغلهم شدة الزحام عن الذكر والتكبير وعن الدعاء والتضرع عند هذا المقام ، بل وعن العلم بوقوع الجمار في موقعها المشروع من الأحواض ، وهذا الزحام من المحتمل أن يزداد عاما بعد عام متى كان التحديد على هــذه الحـــال فقــد قصرت المسافات ، وسهلت المواصلات ، ودكت عقبات التعويق ، وقطع دابـــر قطّاع الطريق ، وزاد عليه حصول الأمن المستتب في أنحاء الحـــرم وســـائر السبل المفضية إليه ، حتى أن الناس فيه آمن منهم في أوطانهم ، فاقبلوا عليه من كل حدب ينسلون ، وفي كل زمان يزيدون ، فاشتد الزحام عند هذا المقام ، وشق الرمي على الخاص والعام ، من أجل أن الفقهاء قد حـــددوه بمـــا بـــين الزوال إلى الغروب ، وهو لا يسع الخلق الكثير ، فصار مـــن تكليـــف مـــا لا يستطاع . إن القول به مستلزم للعجز عنه في هذا الزمان . والله لا يكلف نفسا إلا وسعها ."

تلك بعض الحجة التي ساقها العلامة " عبد الله بن زيد "وصـــولا إلـــى التيســـير بالقول بجواز الرمي فيما سوى تلك الأوقات ، ولانتفاء التحديد بما بـــين الـــزوال والغروب ، عن أصل في الكتاب أو السنة أو القياس أو الإجماع ، ولئن كان مـــا ساقه هذا العالم الجليل هو ما اقتضاه الحال فبل أكثر من أربعين سنة ، فإن القول

بالتيسير اليوم ألزم – بقياس الأولى – حيث تضاعف عدد الحجيج اليوم أضـــعافا مضاعفة .

الخاطرة الثانية : -

الحج رمز وحدة المسلمين :

بتأمل آيات فرضية الحج من سورة آل عمران نجدها مقرونة مع الآيات الداعيـــة إلى وحدة المسلمين المبينة مناهج الوحدة ودستورها ، قال تعالى : " [وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا.] آل عمران **97**

ولما كان الحج يمثل مؤتمرا إسلاميا جامعا سنويا ، فقد أراد الله سبحانه وتعـــالى أن يبين منهج الجماعة وهديها ، إنه منهج الاعتصام بالله والإيمان الصادق به ، وتسليم الأمر إليه ، حيث جاءت وصلا لآيات فرضية الحج قوله تعالى :

[وكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَـــدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُـــوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِـــكَ هُـــمُ الْمُفْلِحُـــونَ. وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِـــكَ لَهُـــمْ عَـــذَابٌ عَظِيمٌ.]

آل عمران **101 - 105**

فانظروا يا أهل التلبية إلى مدى عناية هذه الآيات بأمر وحدة المسلمين وكأني بها ما أمرت بهذه الشعيرة الركن إلا استمساكا بقيم الوحدة وإحيـــاء لهـــا فـــي أروع صورها. في كل عام يتدافع أهل التلبية رجالا وعلى كل ضامرٍ من كل فجٍ عميق ، في وحدة ناطقة يحرمون من الميقات بزيٍ موحدٍ يستوي فيه الأثرياء بـــالفقراء ،

بلا فوارق ، بقلوب متآلفة ، أو هكذا ينبغي أن يكون حال أهل التلبية ، وحدة في تآلف ، لا تشاكس فيه ولا مشاكوس . وحدة دستورها الاعتصـــام بـــالله [وَمَـــن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ.]

وحدة تنبت في القلوب المؤمنة المزدانة بالتقى [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُـــواْ اللّـــهَ حَقَّ تُقَاتِهِ]

في القلوب المؤمنة المتحررة من كل نوازع الشرك ، فلا تخضع ولا تركع إلا لله [وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ]

نعم مسلمون ، فلا نتطلع لغير رب السموات والأرض . بهذه القيم فقـــط نســـتعيد أمجاد سلف أمتنا فلا رهن لقرارنا ولا لمصير أمتنا لأهل الشر والشرك . أولئـــك المستكبرون يريدون أن تكون أمة هى أربى من أمة . يريدون إذلال أمتنا.

[يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَـــدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنـــتُمْ تَعْقِلُونَ.] آل عمران 118

ما أتعس أمة تقرأ هذه الآيات ثم تتخذ بطانة من دون المؤمنين رغـــم البغضـــاء التي تبدوا من أفواه أولئك المستكبرين ، بل قل رغم الحرب الشعواء التي يدمرون خلالها بلاد المسلمين ، وحقا : إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

تلك سحابة صيف عن قريب تنقشع ، فعلـــى الأفـــق تلـــوح تباشـــير الإنقـــاذ ، وسيصدق فينا النداء من جديد : [وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا]

أمتنا موعودة بالعودة إلى الوحدة على مـــنهج القـــرآن ، لتعتصـــم بحبـــل الله ، ولتتآلف قلوبها من جديد بعد طول التفرق والتمزق ، ويومئذٍ يفـــرح المؤمنـــون بنصر الله .

الخاطرة الثالثة : -

الحج رمز إسلام وتسليم :

يا أهل التلبية : [وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ]
إنها من آيات فرضية الحج ، كل شعيرة في الحـــج تســـتلزم التســـليم . تســـليم واستسلام تامين – في الطواف بالبيت ، وفي السعي بين الصفا والمروة ، وفـــي رمى الجمرات - وقبل ذلك في الوقوف بعرفة ، فالتسليم والخضوع لله هما روح ولباب كل شعيرة ، ما علينا إلا الترديـــــد بإخلاص وصدق "لبيك اللهم لبيك "لقد كان الفاروق عمر رضي الله عنه مدركا لمعاني وأبعاد التسليم الكامل حـــين قبـــل الحجر الأسود وهو يقول : " والله إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أن رسول الله (ﷺ) قبلك ما قبلتك . "
ذاك هو التسليم الخالص ولقد وهنت عرى التسليم الواعي في الأنفس ، كثيرون لا خلوص لهم في التسليم والخضوع والاستسلام لله عز وجل ، أولئك ينادون "لبيك اللهم لبيك "وقلوبهم لاهية فلا تكاد الكلمات لتنفذ إلى دواخلهم ، لا تزلزل الكلمات كل علائق الشرك وحصونه فلا أثر لها في اجتثاث نوازع الهوى .
مع كل تلبية يجب استحضار معاني الخضوع لله تعالى وإخـــلاص التوجـــه إلـــى الخالق المعبود ، ذاك هو ما يجعل الإنسان مخلوقا ربانيا يدعو فيســـتجاب لـــه ، يجاهد في الله فيهديه الله إلى سبيله ، إلى سبيل النصر والعزة والتوكل والرقي في مدرج الكمال
إن الأرض التي ملأها المستكبرون فسادا يرثها الصالحون من عباد الله .
[الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ.] الحج 41
فبشراكم يا أهل التلبية وبشرى للإنسانية جمعاء حين ينخـــرط المســـلمون فـــي المنهاج بعد التمكين الرباني فيومئذ تسعد الإنسانية بقيم الأمة الرسالية وبمـــنهج الرسالة الخاتمة .

[الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَــى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا . قَيِّما لِّيُنذِرَ بَأْسا شَدِيدا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرا حَسَنا.]
الكهف 1 ، 2

صدق الله العظيم. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د. عبد الرحمن شرفي
قاضي المحكمة العليا القومية
ورئيس إدارة المكتب الفني والبحث العلمي

المصادر

كتب التفسير وعلوم القرآن

- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن
- ابن كثير ، تفسير ابن كثير
- الطبري ، تفسير الطبري
- الجصاص ، أحكام القرآن
- الزمخشري ، الكشاف

كتب السنة المشرفة وشروحها

- ابن القيم ، فتاوى الرسول (ﷺ) وأحكامه
- البخاري ، صحيح البخاري
- مسلم ، صحيح مسلم
- مالك ابن أنس ، الموطأ
- البيهقي ، السنن الكبرى
- الزيلعي ، نصب الراية
- النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم
- محمد ناصر الدين الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب
- ابن أبي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة
- أبو بكر البيهقي ، شعب الإيمان
- الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث
- محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود
- عمدة القاري
- الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث

كتب الفقه

- الخطيب الشربيني ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج
- ابن تيميه ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه
- عبد الرؤوف المناوي ، فيض القدير
- ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد
- ابن قدامة ، المغني
- ابن مفلح ، الفروع
- البجيرمي ، حاشية البجيرمي
- الزرقاني ، شرح الزرقاني
- السيد البكري الدمياطي ، إعانة الطالبين
- السيد سابق ، فقه السنة
- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
- تقي الدين أبي الفتح بن دقيق ، عمدة الأحكام
- عبد السلام بن تيميه ، المحرر في الفقه
- ابن ضويان منار السبيل في شرح الدليل
- الصنعاني ، سبل السلام
- الشوكاني ، نيل الأوطار
- علي الصعيدي المالكي ، حاشية العدوى
- محمد بن عبد الرحمن المغربي، مواهب الجليل
- محمد السيواسي ، شرح فتح القدير
- محي الدين بن شرف ، المجموع
- عبد الله بن قدامة ، الكافي في فقه ابن حنبل
- عبد الرحمن الجزيري ، الفقه على المذاهب الأربعة
- الشافعي ، الأم

كتب التخريج

- الهيثمي ، مجمع الزوائد
- المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال
- ابن حجر العسقلاني ، تلخيص الحبير

كتب اللغة والأدب

- ابن منظور ، لسان العرب
- الأشبيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف
- القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا

كتب الحج والعمرة

- سائد بكداش ، فضائل الحجر الأسود ومقـــام إبراهيم عليه الصلاة والسلام
- د. عبد الحي يوسف ، فتاوى الحج والعمرة والزيارة
- د. محمد البشير عبد الهادي ، الحج والعمرة والزيارة
- د. محمد مصطفى ، مزارات الحرمين الشريفين
- سائد بكداش ، فضائل ماء زمزم
- طلال بن أحمد العقيل ، دليل الحاج والمعتمر
- محمد إبراهيم شقرة ، إرشاد الساري إلى عبادة الباري : الحج
- محمد طاهر عبد القادر الكردي ، دعاء عرفة
- فوزي محمد أبو زيد ، زاد الحاج والمعتمر

الكتب الحديثة

- د. وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته
- د. خالد محمد حامد ، معالم المسجد النبوي الشريف.
- د. عبد الله الطيار ، خلاصة الكلام في أركان الإسلام
- الشيخ عبد الله بن الشيخ ، مختصر سيرة الرسول (ﷺ)

- محمد بن صالح العثيمين ، فقه العبادات
- ياقوت الحموي ، معجم البلدان

كتب أخرى متنوعة

- ابن كثير ، البداية والنهاية
- ابن كثير ، قصص الأنبياء
- محمد ناصر الدين الألباني ، الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب
- ابن حزم الأندلسي ، حجة الوداع
- أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد
- الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين
- البيهقي ، دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة (ﷺ)
- عبد الرحمن السيوطي ، الأشباه والنظائر
- محمد بن أبي الفتح البعلي ، المطلع علـــى أبواب الفقه
- ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان
- ابن القيم ، زاد المعاد
- ابن القيم ، بدائع الفوائد
- الماوردي ، أعلام النبوة
- جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور
- ابن القيم ، إعلام الموقعين عن رب العالمين

المجلات والدوريات

- مجلة مجمع الفقه الإسلامي/ السودان ، العدد الأول ، 1422هـ ، 2001 م